سلسلة روايات

فارس الزمن

العدد الأول

الرمال الدامية

بقلم

م/ محمد البديوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

عندما تنطلق بسرعة الضوء..

يتوقف الزمن..

وتتلاشى المسافات..

وتختفي الحواجز..

ويتساوى الماضي والمستقبل..

داعب هذا الحلم خيال الكثيرين..

غير أن أحدًا لم يستطع تحقيقه..

رجل واحد فعل..

وانطلق يطارد الشر أينما كان..

من الماضي السحيق..

إلى المستقبل البعيد..

وهب حياته للقيام بتلك المهمة...

المهمة المستحيلة..

م/ محمد البديوي

١- المجزرة..

الشـمس مسـتعرة والرمال محرقة وصحراء سـيناء بدت بـلا نهاية أنـات الألم دوت في الأجواء الذهول والمرارة عصفا بالوجـوه التوسـل والاسـتجداء طافـا أرجاء المـكان غير أن التبلد والوحشية كانا سـيدا الموقف ووسط هذا الجحيم تمدد المئـات من الأسرى المصريين على وجوههم فوق تلك الرمال الحارقـة بعـد أن تـم تقيدهم من الخلـف ورصهم في صفوف طويلة أمتدت لمئات الأمتار ومن حولهم أخذ عشرات الجنود الإسرائيليـين ينكلون بهم بتشـفٍ واضح وغـل بالغ فأحذية العدو العسـكرية أخذت تقذف بالرمال في وجوههم في حين ألهبت العصي والسـياط ظهورهم العارية وعلى وقع الشـتائم العنيفة والبـذاءات الحادة كان الركل واللكـم والصفع ونكأ الجراحـات الذي جـرى بوحشـية منقطعة النظـير ولم يمض كثـير مـن الوقـت حتى ثـارت عاصفـة رمليـة جـراء هبوط إحـدى المروحيـات العسـكرية الإسرائيلية وما أن لامسـت الأرض حتـى أنفتح بابهـا وخرج منها ضابـط إسرائيلي برتبة عقيد وكان أصلع الـرأس معقوف الأنف ضيق العينيين وقد

امتلئ وجهه الشـاحب بالعديد من الندب أضفت على وجهه الدميـم لمحـة إجرامية واضحـة وعلى العكـس تمامًا من ذلك القبح تجسـد الجمال الصارخ في تلك المـرأة التي كانت ترافقه ببياضهـا الناصع وشـعرها الأسـود الطويل الناعـم وعينيها الزرقـاء التـي أخفتهـا وراء ذلـك المنظار الشـمسي الأسـود وقـد ارتـدت زي جيش الدفـاع الإسرائيلي وبالرغـم من أنه لم يكـن يحمـل أي رتب عسـكرية إلا أن ذلـك «الدميم» كان يعاملهـا باحترام وتقدير بالغين وكان جميـع الجنود والضباط قد أصطفوا بانتظام وأدوا التحية العسـكرية لقائدهم بحماس بالغ وقبل أن يجلس قام بسحب أحد الكرسيين لتجلس تلك الفاتنـة أولًا ثم جلس بجانبها أسـفل مظلـة كبيرة أعدت لهم على عجل وأمامهم وفوق منضدة صغيرة أستقرت زجاجات الـ(شـمبانيا) وعـدة كـؤوس ومكعبـات الثلـج التي أخذت تقـاوم حـرارة سـيناء اللافحـة دون جدوى وخلـف منظاره الشـمسي القاتم أخذ (عذرا شاؤول) قائد الفرقة الأسرائيلية «روح شـاكيد» الـذي جاء عـلى عجل من مقـر قيادته المتقدم في العريـش بعد أن تلقى اتصالًا بـأسر أحدى وحدات فرقته لنحـو ٣٠٠جندي مصري صبيحة يوم السـابع من يونيو عام

٦٧ وذلـك بعـد أن بـدأت إسرائيـل عملياتها البريـة في عمق سـيناء عقب الضربة الجوية الكاسـحة والتي قضـت بهًا تمامًا على القـوة الجوية المصرية كان(عذرا) قـد أعطى تعليماته على الفور بشأن الأسرى لكنه حرص أن يأتي بنفسه ويشبع شهوة الانتقـام لديـه وهاهو يراقب مايجري بغـل واضح وقد علت وجهه ابتسـامة صفراء تجسدت فيها كل معاني الكراهية وهو يشـير لجنوده بعلامة النصر مخاطبًا رفيقته الفاتنة باحترام كبير وهو يفتح زجاجة الشمبانيا ولازال سلاحه الشخصي رشاش «عوزي»[١] الإسرائيلي معلق فوق كتفه:

– هل رأيت يومًا أروع من هذا اليوم ياسيدتي؟

أخـذت (راشـيل موردخـاي) ضابطـة المخابـرات الإسرائيلية والمسـئولة عن دائرة مصر في (الموسـاد)[٢] تنفس دخان سيجارتها الرفيعة والغل يقطر من كل حرف من كلماتها وأردفت قائلة دون أن تنظر إليه:

(١) نسـبة إلى مخترعـه عوزيـل غـال في أواخـر الأربعينيات تـم الانتهاء من النموذج الأولي في الخمسـينيات تم تقديمـة إلى القوات الخاصة للجيش الدفاع الإسرائيلي في ١٩٥٤.

(٢) جهاز المخابرات الإسرائيلي.

– لقد عشـت لسنوات انتظر هذا اليوم فلقد فقدت أخي (ديفيد) في حرب ٥٦ على يد هؤلاء الجرذان.

عذرا: أعدكِ ياسـيادة العقيد أنك ستحصلون اليوم على ماسـيذهب أحزانـك على أخيـك للأبد و.. قاطعته بشراسـة واستطرد باحتقار بالغ:

– هـؤلاء المصريـين لا يسـتحقوا ثمـن الرصـاص يـا (عذرا).

ثـم ارتشـفت بعـض الشـمبانيا وأخـذت تنفـس دخان سـيجارتها وهي تحدق بطابـور الأسرى الممد على الرمال على بعـد عدة أمتار منها وبغطرسـة بالغة أشـارت لـ(عذرا) دون أن تحـول بصرها عن الأسرى المصريين وعلى الفور وبإشـارة حـادة أعطى (عـذرا شـاؤول) تعليماته لجنـوده وكانت هناك أربعـة دبابـات ثقيلة بالقـرب من المكان وبـدأت تزحف بعد إشـارته مبـاشرة في اتجاهات متعاكسـة متجهـة نحو الاسرى المقيدين ثم بدأ الجنون فلقد اندفعت الدبابات تدهس أجساد الأسرى المصريين في مشـهد وحشي..مشـهد بشع..سُحقت فيـه العظـام والجماجم وتمزقت الأجسـاد وأصحابهـا لازالوا

عـلى قيـد الحياه لتندفـع الدمـاء تصبـع الرمال بلونهـا الأحمر القاني وتنطلق صراخات الألم المرعبة تهتز لها جنبات سيناء تم ذلك كله بدم بارد وبلا رحمة ودون أدنى شـفقة بل أن الجنود فوق تلـك الدبابات كانوا يصلون ويقـرأون التوراة لقد كان الاسرائيليـون بحق حيوانات..حيوانات مسـلحة.. ووسـط تلـك البشـاعة تراقصت على وجه (راشـيل) الفاتن ابتسـامة تشـفي مقيتة لاتتناسب مطلقًا مع جمالها الأخاذ ورقة ملامحها البالغـة وهي ترتشـف المزيد من الشـمبانيا في حين مال عذرا شاؤول عليها واستطرد بصوت خافت أشبه مايكون بفحيح الأفعى:

- لعلي أوفيت بوعدي ياسيادة العقيد؟

لم تلتفت إليه وقالت ببرود:

- كفـاك تفاخـرًا (ياعـذرًا) أنهم أسرى مقيديـن على أية حال.

احتقن وجهه القبيح وهم بالتحدث غير أنها اسـتطردت بسخرية:

– لو كنت سـأتوجه بالشـكر لأحد فسأتوجه به لـ(جمال عبـد الناصر) فهو من ألقى بهـم في الصحراء لأحقق أنتقامي بسهولة وأثأر لـ(ديفيد).

لم يعقـب (عـذرا شـاؤول) بـل تنـاول جرعة كبـيرة من الشمبانيا دفعة واحدة زادت من احتقان وجهه.

أسقطت قواتنا المسلحة تسع طائرات فانتنوم صباح اليوم لتصبح حصيلة الطائرات الإسرائيلية التي تم إسـقاطها حتى الآن خمسـون طائرة..هنـا القاهـرة.. هللت الجماهـير الغفيرة المحتشـدة في ميادـين وشـوارع القاهرة وارتفعـت صيحاتها بعد أن دوت مكبرات الصوت بهذا البيان وانطلقت الحشـود الهـادرة تهتف باسـم الزعيم وارتفعت صـوره فوق الرؤوس وبدت تسبح فوق هذا النهر الدافق من البشر واكتظت وسائل النقل العام والخاص بالمصريين المتجهين لقصر الرئاسة لتهنئة الرئيس جمال عبد الناصر بهزيمته السـاحقة لإسرائيل غير أن شـخصًا ما لم يكن متحمسًـا لذلك..لم يكن متحمسًـا بالمرة.. فلقـد كان يعلم الحقيقة.. الحقيقـة المرعبة بل لقد كان الوحيد

بين تلك الحشـود الذي يعلم حقيقة الأمر وقد أخذ يتطلع في تلك الوجوه من حوله والتي أطلقت العنان لحماسها وفخرها «الوهميين» فكان يشـعره ذلك بغصة شديدة في حلقه وشفقة جارفة على هؤلاء المخدوعين..هؤلاء المهزومين.. ولكنه على أيـة حـال لم يأتي لذلك لقد جـاء لمنع الكارثـة ووقف المذبحة جاء ليصارع المستحيل..المسـتحيل نفسه.. وعلى وقع الدوي الـذي لا يكاد يهـدأ حتى ينطلق مرة أخرى يخترق (شـهاب) حاجز الزمن متجه نحو الحقيقة متجهة نحو المستحيل.

في حين انطلقت مكبرات الصوت تصرخ.. هنا القاهرة.. معلنة عـن ارتفاع حصيلـة طائرات العدو التي تم إسـقاطها لـــ٩٩ طائـرة وذلك بعد أقل من نصف سـاعة مـن آخر بيان بإسقاط ٥٠ طائرة.

..zÆÐžŽkH ıč

أخذ الجمهور المحتشـد بنـادي الجزيرة الرياضي من محبي رياضـة الفروسـية يتابع باهتمام وشـغف بالغين تلـك الفاتنة الشقراء بشعرها الذهبي الذي أخذ يلمع أسفل قبعة الفروسية التي ترتديها وهي تقفز بجوادها الناصع البياض فوق الحواجز الصناعية بمهارة لافتة والتي تعبر كل منها عن درجة صعوبة معينة في مسـابقة الفروسـية التي يقيمها النـادي كل عام وبدا التناغـم رائـع بينهـما ومع كل قفـزة كانت شـهقات الجمهور ترتفع وتصفيقهم الحاد يكـسر حاجز الصمت وكان أكثرهم تحمسًا ذلك الأشقر صاحب العيون الزرقاء والذي بدأ عقده السـادس منـذ أيام قليلـة وبدا بملامحـه الأوروبية وملابسـه الفاخرة والترف والبذخ البادِيين عليه بدا رجلًا أرسـتقراطيًا واسـع الثراء والنفوذ أيضًا فلقـد كان يجلس في مقصورة كبار الـزوار مـع رئيس النـادي وكبـار الشـخصيات وكان ويتابع باهتمام بالغ وحماس واضح تلك الفارسة..الفارسة الشقراء.. وهاهي تقترب من نهاية المسابقة دون أن تسقط حاجزًا واحدًا لتتخطى المانع المائي بنجاح متجهة للقفز فوق الحاجز الأخير

لتتوج بطلة المسابقة لهذا العام وسط إعجاب الجميع وبالفعل اجتازته بنجاح وماكاد جوادها يلامس سطح الأرض العشبي بقوائمه الخلفية حتى انتفض جسده وجُن جنونه وأخذ يصهل بشكل غريب بدا مرعبًا في واقع الأمر وانطلق يعدوا كما لو أن حية قد لدغته وبالرغم من محاولاتها المستميتة للسيطرة عليه غير أنها بدت عاجزة..عاجزة تمامًا.. وأصبحت أسيرة هذا الجامح ولم تلبث شهقات الجماهير أن ارتفعت وانتفض ذلك الأرستقراطي من مقعده والفزع يملأ قلبه فهاهو جوادًا جامحًا أصابه الجنون يخطف ابنته.. ابنته الوحيدة.. متجهًا بها نحو المجهول ولم يشعر بنفسه وهو يصرخ باسمها بكل رعب الدنيا متخليًا عن وقاره وهدوئه ولم يكن من حوله بأقل فزعًا منه فلقد كان الجواد منطلقًا نحو منحدر يبلغ ارتفاعة ثلاثة أمتار تقريبًا بالقرب من مضمار السباق بمنطقة إنشاءات جديدة وتوسعات للنادي.

وبات الجميع يحبس أنفاسه منتظرًا النتيجة الوحيدة والمصير المؤكدة لتلك الفاتنة وبدأت صيحات الأسى والحسرة تنطلق من هنا وهناك وفجأة وأمام الجماهير

المصدومة وأمام أبيها الذي شـخصت عيناه وعصف الرعب بكيانه انشـقت الأرض عن رجل طويل القامة ممشوق القوام عريـض المنكبين يمتطي جوادًا قويًّـا وأنطلق وراء هذا الجواد الجامـح بأقـصى سرعـة وعـلى وقع صرخـات تلك الشـقراء أقـدم عـلى عمل بالغ الجسـارة إن لم يكن الانتحـار بعينه كان حـين انتصـب واقفًا فوق صهـوة جواده بتـوازن مذهل رغم السرعـة الفائقة التي ينطلق بها ثم أقـدم على الجنون..الجنون بعينه حين قفز بجسـده في الهواء باتجاه الفارسة المرتعبة ليهبط مسـتقرًا فوق ظهر جوادها الجامح مباشرة أمامها وقد أسـتبد بها الرعب وسـط شـهقات الذهول من كل من رأى المشـهد ثـم بذراعيـه الفولاذيتين لجامه فصُدِم الجـواد من ذلك الذي انشـقت عنه الأرض وامتطـى ظهره هكذا فجـأة وكاد ينتزع عنقه بقوة ذراعيه وهاهو يجبره على العودة لمضمار السباق مرة أخرى بعد أن سيطر عليه تمامًا في حين استبد الانفعال بالفاتنة الشقراء وباتت تقاوم فقدان الوعي دون جدوى وقد تشبثت بظهر منقذها بدا المشـهد للجميع وكأن روميو يحمل جوليت عـلى حصانه الأبيض..تمامًا بدا المشـهد هكـذا.. مع اختلاف

بسيط فلم يكن ذاك المنقذ روميو بأية حال من الأحوال.. لقد كان رجل المهمة المستحيلة.. لقد كان (شهاب).

أخـذت الفاتنة الشـقراء بطلة مسـابقة الفروسـية لنادي الجزيرة الريـاضي لهذا العام.. عام ١٩٦٧ وابنة الثري الألماني وتاجـر وخبير الخيول (ألـبرت فردريك) والذي أقام سـباق هذا العام على نفقته الخاصة تستعيد وعيهًا بالتدريج من فوق السريـر الوحيـد بغرفة العنايـة الطبية بالنـادي ولم تكد تفعل حتى تهللت أسـارير (ألـبرت فردريك) وطبع على الفور قبلة حانية على جبينها الناصع البياض وهو يقول بانفعال:

– حمـدًا لله عـلى سـلامتك ياحبيبتـي بما تشـعرين الآن يا (مارجريت).

أجابت الفاتنة (مارجريت) وقالت ببراءة:

– مـاذا حـدث يا أبي؟ ومـن هذا الرجل الـذي هبط من السـماء وأنقذني؟ هـل كنت أحلـم ومن...ثم بـترت عبارتها فجأة حين وقعت عينيها الزرقاء «قاسية الجمال» على (شهاب) الذي بدا لها بوسـامته الواضحة وتلك الجسـارة التي تصرف

بهـا لإنقاذها كأحد أبطال قصص ألف ليلـة وليلة التي تهوى قراءتها فتطلعت لأبيها واستطردت بدهشة:

- ما الأمر يا أبي؟

ابتسم والدها وقال بثقة ورزانة:

- حـالًا سـنعرف كل شيء عـن مـلاكك الحـارس ياحبيبتي.

ثم نظر لشهاب واستطرد بود بالغ:

- إن كل مـا عليـك هـو أن تحلم وسـأقوم بتحقيق جميع أحلامـك يافتى إنك لا تـدري ماذا فعلت اليـوم ماذا تطلب نظـير صنيعـك و..قاطعـه (شـهاب) قائـلًا وهـو يهـز كتفيه بلامبالاة:

- لم أقم إلا بالواجب ياسيدي.

ثم اكتسى صوته بشيء من الغرور أراده أن يطرق مسامع (ألبرت فريدريك) جيدًا وهو يستطرد:

- أما أحلامي فلا تستطيع أموال الأرض تحقيقها.

وبالفعـل كان لـه مـا أراد فلقد أخذ (ألـبرت فريدريك) يحدق بـ(شـهاب) وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مصطنعة ولكنها حقيقية في خبثها حين قال:

– يبدو أنك شخص غير عادي يافتى فما فعلته منذ دقائق يبدو لي أسطوريًّا وما..قاطعه (شهاب) ثانية قائلًا ببرود:

– اسـمي (شـهاب) ياسـيدي سيسـعدني كثـيرًا لو أنك استخدمته.

اتسـعت ابتسـامة (ألبرت فريدريك) ولكـن خبثها بقى على حاله وهو يقول:

– بل سيسعدني كثيرًا أن أتعرف عليك عن قرب فالمرء لا يقابل كل يوم بطل مثلك؟

نظر إليه (شهاب) واستطرد بهدوء:

– لا داعي للمبالغة ياسيد (ألبرت) فالأمر بسيط.

نظـر (ألـبرت فريدريك) إليه بدهشـه حقيقية مسـتطردًا بتعجب:

– بسـيط!! ألا تعلـم أن ماقمـت بـه اليوم هـو الانتحار بعينه، إنني لا أستوعب حتى الآن كيف قمت بذلك؟

نظر إليه (شـهاب) وقد علت وجهه ابتسامة تجمع ما بين الثقة والسخرية وهو يقول:

- أقصد بسيط بالنسبة لي ياسيد (ألبرت).

حدق (ألبرت) في وجه (شهاب) بمزيد من الخبث وهم بالتحـدث لـولًا أن انطلقت طرقـات حادة على بـاب الغرفة أعقبها دخول عملاق تعـدى طوله المترين مفتول العضلات بشكل ملفت للنظر ذو وجه مربع قاسي الملامح وكان حارس (ألـبرت) الخـاص حيث مال عليـه وقال بالألمانيـة وبصوت أجش:

- سـبب ماحدث للجواد ياسيدي هو إصابته في قوائمه الأماميـه وكـ.. وهنا بـتر عبارته فجأة حين قاطعه (شـهاب) بألمانيه سليمه مستطردًا:

- معـذرة ياسـيد (ألـبرت) عـلى المقاطعة ولكـن الجواد أصيب في قوائمة الخلفية وليست الأمامية.

تفاجئ (ألبرت) بقوة وأخذ يحدق في وجه شـهاب لعدة ثواني قبل أن يردف قائلًا:

– أنـك تبهرني في كل دقيقة يارجل كيف تعلمت الألمانية على هذا النحو من الإتقان؟

تراقصـت عـلى وجـه (شـهاب) ابتسـامة سـاخرة وهو يقول:

– يبـدو أن لديـك اسـتعداد قـوي للإنبهـار ياسـيد (ألبرت).

ابتلـع (ألـبرت) أسـلوب (شـهاب) السـاخر وبـادره بالسؤال:

– وكيـف علمت ذلك هل فحصـت الجواد وهل لديك خبرة في مجا... قاطعة (شهاب) مستطردًا بثقة بالغة:

– إنني أعرف الكثير عن أمور كثيرة ياسيدي.

(ألـبرت): إذن لم أخطـئ عندمـا قلت أنك شـخصًا غير عادي

كانـت الفاتنة (مارجريـت) تتطلع طيلة الوقـت بانبهار لملاكها الحارس ولم تنطق بكلمة في حين أخذ العملاق (هانز) ينظـر لشـهاب بنظرات تخلو مـن الود..تخلو تمامًـا.. ولاحظ (شهاب) ذلك ثم أستطرد ولازالت أبتسامته تعلو شفتيه:

– أشـكرك ياسـيدي على أية حال وكم كنـت أتمنى تلبية دعوتـك ولكـن أنـ...وهنا قاطعتـه (مارجريت) رغـمًا عنها وهي تنظر إليه بابتسامة ساحرة وتقول بصوت أكثر سحرًا:

– أرجوك إقبل دعوتنا الليلة سيسعدنا ذلك كثيرًا.

واسـتطر (ألبرت فريدريـك) بمرح مصطنـع وهو ينظر لـ(شهاب):

– لا سـبيل للاعتذار يا (شـهاب) فلا يليق بسيد مهذب مثلك أن يرفض دعوة سيدة.

هز(شهاب) رأسه موافقًا وهو يقول دونما اكتراث:

– وهـو كذلـك ياسـيدي إن كان ذلـك سيسـعدكم فلن أمانع.

وهنا دخل رئيس مجلس إدارة النادي الغرفة وقدم التحية للجميـع واطمأن على سـلامة (مارجريت) وقال بتوتر وقلق بالغين:

– لقد وجدوا جسمًا حادًا اخترق أحد قوائم الجواد وهو مادفعه لأن يجمح هكذا وسـيعاقب وبشدة من تسبب في هذا وسأشرع بـ....قاطعة (ألبرت) بحدة:

- قوائم الجواد الخلفية أم الأمامية؟

أجاب الرجل بارتباك وتوتر:

- إحدى قوائمه الخلفية ياسيدي.

علت وجه (ألبرت) أبتسامه تعجب وهو ينظر (لشهاب) بعـد أن أكد رئيس النادي ماذكره (شـهاب) عن أصابة قوائم الجواد الخلفية وبدا متأكدًا أن (شـهاب) هذا رجل غير عادي وورائه ما يخفيه في حين نظر شزرًا لرئيس النادي الذي أصابته تلك النظرة بالقشـعريرة فهو يعلم جيدًا أنه وباتصال تليفوني بسـيط بوزيـر الرياضة المصري يسـتطيع (ألـبرت فريدريك) أن يقيلـه من رئاسـة النـادي لما يتمتـع به من نفـوذ كبير رغـم أنـه أجنبي اسـتطرد (ألبرت فردريك) بصرامـة تمتزج بتهديد واضح:

- يجـب أن يعاقـب كل مـن أهمـل في عملـه وفي أقـصى سرعـة لقد كاد إهمالكـم أن يودي بحياة ابنتـي الوحيدة لولًا هذا الرجل الجسـور ثم أشـار لـ(شهاب) وأشـاح بوجهه في حنق عـن رئيس النادي الذي أزدرد ريقه بصعوبه وهو يقول بصوت شاحب تمامًا كوجهه:

- في أسرع وقت أعدك بذلك ياسيد (ألبرت).

وخـرج الجميع مـن المكتـب يتقدمهم العمـلاق (هانز) لتأمين الطريق لسـيده ولحق رئيس مجلس الإدارة بـ(شهاب) قائلًا بمايشبه التوسل:

- أرجـوك ياولـدي سـيد (ألبرت) لن يرفـض لك طلبًا بعـد أن انقذت اليـوم حياة أبنته الوحيـدة أرجوك أطلب منه ألا يخبر معالي وزير الرياضة عما حدث.

نظر إليه (شـهاب) بسـخرية بالغة ولم يحـرر جواب فهو الوحيـد في مصر الذي يعلم حقيقة (ألبرت فريدريك) هذا.. يعرفها جيدًا.. ويبدو أنه نجح اليوم في لفت أنتباهه إليه نجح وبشدة.

٣- الجاسـوس..

عـلى أنغـام موسـيقى السـيمفونية الخامسـة لبيتهوفـن والتي أخذت تجـول في أرجاء قصر (ألبرت فريدريك) الرائع والقابـع في أحد أرقـى الأحياء بالقاهرة والذي بدا من شـدة فخامتـه كقصور القرون الوسـطى بما يحتويه مـن تحف ثمينة في كل ركن من أركانه والتي أضفت حالة من الأرسـتقراطية عـلى المـكان بمـن فيـه غـير أن الـذي لم يكـن يعرفـه أحد أن (ألبرت فريدريك) هذا يهودي ألماني هاجر مع أمه لفلسـطين وبعد انـدلاع الحرب العالمية الثانية تطـوع في صفوف الجيش البريطـاني وقـضى معظـم فـترة الحرب في مـصر فأتقـن اللغة العربيـة وكانت مهمته أسـتجواب الأسرى الألمـان لإجادته اللغة الألمانية ثم أنضم للجيش الاسرائيلي وحارب مصر عام ٥٦ وترقـى لرتبة ميجور ثـم انضم للمخابـرات الإسرائيلية (الموساد) بعد الحرب والتي أدخلته لمصر عام ٦٠ تحت غطاء أنه خبير وتاجر خيول عربية بجواز سـفر ألماني صحيح وكان الـدور الذي كلفته بـه المخابرات الإسرائيليـة وتولت تدريبه عليـه طويلًا في تل أبيب هو أن يتصرف كرجل ثري من ألمانيا

يعشـق الخيول العربية ويقـوم بتربيتها في مزرعته الخاصة وأن يقنع الجالية الألمانية الغربية في مصر أنه ظابط سابق في الجيش الألماني تحت قيادة أروين روميل، وكان (الموسـاد) ينفق عليه بسـخاء نظرًا لأهميتـه البالغة لخطة إسرائيـل في تدمير برنامج الصواريـخ المـصري، وبغرفـة مكتبـه شـديد الأناقـة جلس (ألـبرت فريدريـك) يتحـدث مع رجـل نحيـل الوجه ضيق العينين معقوف الأنف والذي سأل بتشكك واضح:

– وهـل يصلـح ذلك الرجـل لتلك المهمـة (ياألبرت)؟ الشـجاعة وحدهـا لاتكفي فلا يعنـي أنقـاذه لـ(مارجريت) على هذا النحو الذي أبهرك أنه قادر علي تنفيذ المهمة التي يعد لها (الموسـاد) منذ عام كامـل فتصفية مدير برنامج الصواريخ المصرية (القاهر والظافر)[1] ليس عملًا سهلًا؟

هز (ألبرت) رأسه إيجابًا وهو يقول:

(١) برنامـج صواريـخ مصري بعيد المـدى بدأ في أوائل السـتينات بخبرات ألمانية شاركت في برامج صواريخ أدولف هتلر 2-v-1-v في نهاية الحرب العالميـة الثانيـة وكان البرنامج تطويـر لتلك الصواريـخ ولكن إسرائيل استطاعت إجهاضه بعد هزيمة ٦٧ حيث توقف تمامًا.

– أدون (كوهـين) أعلـم جيـدًا أهميـة ودقة تلـك المهمة ولكنني من حيث المبدأ أرى أن الأمر جدير بالمحاولة.

اسـتطرد (راؤول كوهين) ضابـط المخابرات الإسرائيلي المسئول عن (ألبرت فريدريك) بجدية بالغة:

– لقد فشـلت رسـائلك وطرودك المفخخـة في أقتناص (هانـز مولـر) مديـر برنامـج الصواريخ المـصري و...قاطعه البرت متعللًا:

– إن ذلـك النازي[1] الحقير يحظي بدعـم وحماية مباشرة مـن جمال عبد الناصر فالإجـراءات الأمنية حوله تفوق بكثير الإجراءات حول رئيس الوزراء المصري نفسه.

هز (كوهين) رأسه وقال بشكل ساخر:

– بالتأكيـد فرئيس الوزراء مجـرد موظف ولن يمنح عبد النـاصر الصواريخ التي سـتهدد أمن إسرائيل وهـذا مايؤكد أن مهمـة كتلـك تحتـاج لشـيطان وليـس أقل من ذلـك ولن

(١) نسـبة إلى النازيـة والحزب النازي الحاكم في ألمانيـا في فترة حكم أدولف هتلر.

أسـتطيع أن أخبر أحد في (الموسـاد) بـشيء حتى أتأكد بنفسي ثم استطرد:

- هل سيحضر ذلك الرجل الحفلة كما قلت؟

أومأ (ألبرت فريدريك) برأسه إيجابًا:

- نعم لقد أكد أنه سيفعل.

مد (كوهين) يده في جيـب معطفه الداكن وأخرج قطعة مـن الماس على شـكل وردة جميلـة وقال لـ(ألبرت) بابتسـامة خبيثة:

- تلك هديتي للجميلة (مارجريت) أحرص أن تقدمها لها في الحفلة.

وعلت وجهه إبتسامة غامضة وهو يستطرد:

- وسنرى من يكون صديقك هذا ياألبرت.

بـدت مفاجـة لـ(ألـبرت) أن يقـوم رجل مثـل (راؤول كوهـين) مع مايعلمه عن من بخل وشـح بفعـل كهذا ولكنه أخذ الهدية على أية حال وشكره.

أخذ (ألبرت فريدريك) يوزع تحياته على الجميع بابتسامه هادئـة مصحوبـة بعبـارات الترحيـب وبـدا كما لـو كان ملكًا متوجًا وسط هذا الثراء الفاحش الذي يعيش فيه وبالرغم من ذلك كان ودودًا ومتواضعًـا للغاية يتجاذب أطراف الحديث بلباقـة ومرح مع ضيوفه مقدمًا (راؤول كوهين) للجميع على أنه صديـق وخبير في تربية الخيول ولم يـترك أحدًا من ضيوفه إلا تحـدث معـه وداعبه وتلك هي أهم صفة يجب أن تتوفر في الجاسوس القدرة على تكوين صداقات وكسب ثقة الآخرين وبدا نجاحه في ذلك ملحوظًا حيث لبى دعوته نجوم المجتمع المصري في ذلك الوقـت فمظاهر البذخ والثراء التي يحيط بها نفسـه وسـهراته اليومية التي يقيمها بنـادي الجزيرة الرياضي والتي استطاع من خلالها جمع أكبر قدر من المعلومات وبفضل التدريب الجيد الذي تلقاه في (الموساد) على تحليل المعلومات تمكـن في النهايـة أن يحدد عناوين العلماء الألمان المشـاركين في برنامـج الصواريخ المـصري (القاهر والظافر) وعلى رأسـهم (هانـز مولر) نفسـه أخذ (ألبرت) يقلـب بصره في الحاضرين في انتظار قدوم (شـهاب) ومال على (كوهين) وهمس في أذنه قائلًا:

- فور حضوره ستتمكن بسهولة من معرفته.

رفع (راؤول كوهين) أحد حاجبيه وهو يغمغم:

- ألهذا الحد يا (ألبرت)؟

فاستطرد (البرت فردريك) بهدوء:

- سترى بنفسك.

في حين أضفت (مارجريت) حالة من الجمال والروعة عمت أرجاء القصر حيث بدت بجمالها الصارخ وفستان السهرة الذهبي وشعرها الناعم الذي يحمل نفس اللون وعيناها الزرقاء «قاسية الجمال» بدت كما لو كانت (فينوس)[1] قد لبت هي الأخرى دعوت (ألبرت فريدريك) بحضور الحفل وكانت بابتسامتها الجذابة ورقتها البالغة محط أنظار الجميع وكانت تترقب هي الأخرى وصول منقذها مع من يترقبوا كانت تترقب وصول (شهاب) أقبل عليها (ألبرت) وطبع قبلة على جبينيها ناصع البياض ووضع وردة كوهين الماسية فوق صدرها وأخيرًا حانت اللحظة حين أخذ المدعوين يتطلعون باعجاب واضح إلى ذلك الرجل طويل

(١) آلهة الجمال عند الرومان.

القامة رياضي البنية عريض المنكبين ذو العقد الثالث بوسامته اللافتة وشعره الأسود الفاحم وبشرة البيضاء وحلة السهر السوداء التي يرتديها والتي زادت من روعة مظهره بحيث فاق الجميع وسامة وأناقة وما أن رأى (ألبرت) و(كوهين) شهاب حتى نظر كلاهمًا للآخر ثم أومأ (ألبرت) برأسه لـ(كوهين) إماءة ذات معنى وأقبل عليه باهتمام واضح وصافحه بحرارة ثم أردف قائلًا بصوت جهوري مشيرًا إلى (شهاب) بشكل مسرحي:

- إليكم سيداتي وسادتي البطل الذي خاطر بحياته صباح اليوم لإنقاذ أبنتي الوحيدة.

صفق الجميع بحرارة وارتسمت على وجه (شهاب) ابتسامة هادئة مشيرًا للجميع بالتحية في حين أقتربت الفاتنة (مارجريت) منه قائلة بصوت بالغ العذوبة وهي تنظر إليه بنظرات مفعمة بالإعجاب أمتزجت بابتسامتها الساحرة:

- لا أستطيع أن أعبر عن مدى شكري لما صنعته اليوم من أجلي.

ثم أضافت في مرح:

- ولكن أي (سوبر مان) كان سيفعل ما فعلته.

وهنـا ضحـك جميع من سـمعها في حين أخـذ (كوهين) يتفحـص (شـهاب) بكامل حواسـه ابتسـم (شـهاب) قائلًا بهدوء:

- إنه الواجب لا أكثر.

أزدادت نظـرات الإعجاب من حول (شـهاب) في حين أخـذت (مارجريت) تتجول معه بين الضيوف وكان (ألبرت فريدريـك) يرقبهما بنظراتـه الثاقبة طيلة الوقت في حين علت وجـه (كوهين) النحيـل تلك الإبتسـامة الغامضة مرة أخرى أخذت (مارجريت) تتحدث مع (شـهاب) بشـغف كبير ولم تتوقـف لحظة عـن النظر إليـه باعجاب وانبهـار بالغين وهي تقول بصوت أخاذ:

- لماذا خاطرت بنفسك اليوم لإنقاذ شخص لا تعرفه.

(شهاب): ومن قال أنني لا أعرفك؟

علت الدهشة وجهها الفاتن واستطردت بتعجب:

- وهل تعرفني قبل صباح اليوم؟

(شـهاب): لقد عرفت الخطر الـذي كان يحيط بك وهذا يكفي.

بدت (مارجريت) مبهورة بما يقوله (شهاب) واستطردت بنشوى بالغة:

- هل تؤمن بالحب من أول نظرة؟

لم يتفاجئ (شهاب) بسؤالها وواصل حديثه قائلًا:

- لا فالحـب كائن ينمو ويشـعر ويتأثر ويقـاوم ويكافح مـن أجـل بقـاؤه ولا يعقل أن يحـدث ذلك كلـه في لحظة.. في نظـرة.. لكن الإعجاب والانبهـار ممكن أن يحدث في لحظات لكنه أيضا وكما حدث بسرعة فأنه من الممكن أن يختفي بنفس السرعة.

تعلـق بصرها بـه بحيث باتت عاجزة تمامًـا أن تحوله عنه واستطردت بتأثر بالغ:

- مَن تكون؟

ارتسـمت على وجه (شـهاب) ابتسـامة جذابة واستطرد بمرح:

- مجرد (سوبر مان) بسيط لا يجد مايفعله.

علت وجهها ابتسـامة كانت كفيلة أن تطيح بمقاومة أي رجـل ولكن (شـهاب) لم يكن رجـل عادي أنـه رجل يحمل هموم البشرية.. أنه رجل المهمة المستحيلة..

مرت سـاعة كاملة قبل أن ينتهي فيها الحفل حرص فيها الجميـع عـلى التحدث مع (شـهاب) وكان للجنـس اللطيف النصيب الأكبر من ذلك وكان (شـهاب) قد خطف الأضواء بشـكل كامل حتى من نجوم السـينيما المصرية في ذلك الوقت بل لقد قدم أحد أشهر مخرجيها المخرج (فريد وصفي) عرض لـه بدور بطولة في فيلمه القـادم ولم يمر وقت طويل حتى بدأ الضيـوف بالمغادرة وأخـذ (ألبرت) يودعهـم باهتمام واضح وانـصرف الجميـع وكان (راؤول كوهـين) في تلـك الأثنـاء يجلـس بمفـرده بمكتب (ألـبرت) واضعًـا على أذنيه سـماعة ضخمـة متصلة بأحد أجهزة التصنت وقد أخذ ينقر بأصابعه عـلى سـطح مكتـب (الـبرت) الفخـم نافثًـا دخان سـيجاره الكوبي الضخم أيضًا في الهواء وفي الخارج اقترب شـهاب من (ألبرت) وكانت مارجريت الفاتنة بجانبه تتأبط ذراعه وتنظر

لـ(شـهاب) بذلك الإعجاب الذي لم يفارقها منذ رأته صباح اليوم وهو يقول:

- شـكرًا لك ياسـيدي على تلك الأمسـية الرائعة والآن هل تأذن لي بالانصراف فـ..قاطعه قائلًا بابتسامة ماكرة:

- ليس بعد ياعزيزي فلدينا الكثير لنتحدث فيه.

هز (شهاب) كتفيه وقال بهدوء:

- على الرحب والسعة.

وهنـا انضـم (راؤول كوهـين) إليهم ورسـم على وجهه ابتسـامة مصطنعة اكتشـفها (شـهاب) عـلى الفـور فلقد كان عـلى يقـين أن صاحـب هـذا الأنف المعقـوف يهـودي وحتمًا أنـه مـن (الموسـاد) وبدا (شـهاب) متأكـدًا مـن أن (ألبرت) قـد أبتلع الطعم وأنه حتمًا سيسـعى لتجنيـده لتنفيذ أمرًا ما له علاقـة مباشرة ببرنامج الصواريخ المصري وهنا وجه(راؤول كوهين) حديثه لـ(شـهاب) بود زائف وهم يتنزهون بحديقة القصر:

- لا تتخيـل كـم امتناني وتقديـري لمافعلته اليوم ياسـيد (شهاب) أن مارجريت بالنسبة لي كابنتي تمامًا.

ابتسم (شهاب) قائلًا ببرود وبشكل مقتطب:

إنه الواجب ياسيد (كوهين).

بـدت نظـرات (راؤول كوهـين) لشـهاب زائفة..زائفة تمامًـا وهو يحـاول أن يرسـم الإعجاب والانبهـار على وجهه النحيل.

في حين وجه (ألبرت فريدريك) حديثه لشهاب قائلًا:

- اسـمع (ياشـهاب) لقـد أنقـذت حياة أبنتـي الوحيدة اليـوم من موت محقق ولابد من طريقـة أكافؤك بها فلا...هم (شـهاب) أن يقاطعه فوضع (ألـبرت فريدريك) إحدى يديه على كتفه محـاولًا إثناؤه عن ذلك لتحـدث المفاجئة..المفاجئة المرعبة فبشـكل مباغـت وسريع انطلق أحد كلاب الحراسـة وكان مـن نوعيـة الـ(دوبرمـان) الألمانيـة المتوحشـة والـذي يبلـغ ارتفاعـه مـا يزيد عن المـتر عن الأرض وهجـم مباشرة على (شـهاب) ومما زاد الأمر تعقيـدًا أنه هاجمه من الخلف ولم يسـتطع أحد أن يحذر (شـهاب) اللهم إلا من نظرات الرعب والفزع التي أرتسـمت على وجه (مارجريت) في حين شـهق (ألبرت فريدريك) وهم (راؤول كوهين) بانتزاع مسدسه من

أسـفل معطفه لكـن المفاجأة الأكبر جاءت على يد (شـهاب) نفسـه والذي أسـتدار بسرعـة مذهلة ليجد كلـب الدوبرمان المتوحـش قد قفـز باتجاهه وبدت أنيابه البيضـاء تتوعد بالشر بينما سـال الزبد من بين شدقيه وبشكل بدا للجميع مستحيل مد (شهاب) ذراعه الأيمن منقضًا بقبضته الحديدية على عنق هـذا الوحـش فعلقه في الهـواء على امتـداد ذراعـه الفولاذي وأخذ يعتصر عنقه بقوة وبدا نباحه يتحشرج وجسده ينتفض ولم تمر سـوى عدة ثواني تسـمر فيها الجميع في مكانه من هول المفاجأة..المفاجـأة المرعبـة ليرخـي بعدهـا (شـهاب) قبضته الحديدية فيسـقط ذلك الوحش صريعًا عـلى الأرض أمامهم بلاحـراك وقد أخذ الجميع يحدق بـ(شـهاب) بذهول وتجمع حـرس (ألـبرت فريدريك) بسرعـة حوله وشـاهد العملاق (هانـز) جثة كلـب الدوبرمـان وأخذ يرمق شـهاب بنظرات عدائيـة واضحة فلقد كان هذا الكلب الذي خنقه (شـهاب) بيده العارية حتى المـوت هو كلبه المفضل والذي دربه طويلًا عـلى أن أي حركـة مباغتـة يقوم بهـا (ألـبرت فريدريك) مع الغربـاء فهـذا يعني أن هذا الغريب عـدو يجب الفتك به وهو مـا فعله الكلب أو بشـكل أدق ما لم ينجح فيـه أخذ الغضب

يعربـد بكيان (هانز) المهـول ولكنه لم يسـتطع أن ينبس ببنت شـفة وكان لتلك المفاجئـة المرعبة وقع الصدمـة على (ألبرت فريدريك) أما (مارجريت) فلازالت وبعد أنتهاء الأمر تدفن وجهها في راحتيها مـن الرعب أما (راؤول كوهين) وبالرغم مـن عمله الطويل (بالموسـاد) منذ تأسيسـه ألا أنـه لم يرى أو يسمع عن رجل استطاع أن يفعل ما فعله شهاب بيده العارية منذ لحظات أمام عينه..لم يحدث أبدًا..

٤- الطريق إلى الموساد..

- من أنت يارجل؟

نطق (ألبرت فريدريك) بتلك العبارة بمزيج من الدهشة والفضول ثم استطرد:

- صبـاح اليـوم تقفـز كالمجنـون فـوق حصـان جامـح بشكل لا يستطيع حتى عتاة الكاوبوي مجرد التفكير فيه ومنذ لحظات وكأن لديك أعين في ظهرك حتى تسـتطيع أن تلتفت كهذا بغتة ثم تخنق أشرس وأضخم كلاب الحراسـة لدي على هذا النحو المرعب دون أن تهتز شـعرة من رأسـك أو يرتجف ذراعـك الممتد والذي يحمل ما لا يقل عن ٣٠كجم والألمانية التـي تتحدثها بلغة أهلها و...قاطعه شـهاب بمزيج من الثقة والسخرية:

- ولا تنسـى الإنجليزيـة والفرنسـية والروسـية ولغات أخرى أيضًا سيد (ألبرت).

ارتفعا حاجبا (ألبرت) واستطرد بدهشة:

- متـى وكيـف أتقنـت كل تلـك اللغات وأنـت في هذا السن؟

نظر إليه (شهاب) وتراقصت على شفتيه أبتسامة غامضة ولم يعلـق بـشيء في حين أخـذ(راؤول كوهـين) ينفث دخان سـيجاره الضخـم ويحـدق بـ(شـهاب) بمزيـج من والشـك والريبة وهو يقول:

– هوِّن عليك ياعزيزي سيقص علينا الرجل كل ما نريد أن نعرفه ولن يخفي شيء أنا متأكد من ذلك.

قالها بصلف وغطرسـة بالغة وهو ينظر للعملاق (هانز) وثلاثة من رفاقه الأشـداء من فريق حراسة (ألبرت) وتحدث (هانز) بصوته الأجش قائلًا:

– أفضـل لـه أن يفعل ياسـيدي إذا كان يريـد الإحتفاظ بوجهه الوسيم هذا.

قهقـه (شـهاب) ضاحكًا بشـكل سـاخر وأخـذ يدرس الموقـف فلقـد كان (هانـز) ورفاقـه الثلاثة يقفـون أمام باب المكتـب يرمقونـه بنظـرات عدائيـة في حـين جلـس (راؤول كوهين) أمامه مباشرة و(ألبرت فردريك) يجلس خلف مكتبه ثم استطرد بسخرية بالغة:

– ومن سيجبرني على ذلك ياعزيزي؟

لم يكد (شهاب) ينهى جملته حتى استل (راؤول كوهين) مسدسه وصوبه نحو (شهاب) واستطرد ساخرًا:

- هذا المسدس أيها المغرور.

- تحبينه؟ إنك لا تعريفه سوى من عدة ساعات فقط يا (مارجريت).

نطقت (سارة وليم) مديرة مكتب (ألبرت فردريك) والصديقة الحميمة بل والوحيدة لأبنته بتلك الجملة عندما صارحتها بمشاعرها تجاه (شهاب) كانت سارة قد أمضت أجازتها الشهرية في ليفربول بانجلترا مع عائلتها وأتت للتو حتى أنها لم تحضر الحفل وحرصت على لقاء (مارجريت) فور وصولها كانت (سارة) هي الأخرى فاتنة بمعنى الكلمة وكانت تجسيدًا للجمال الإنجليزى الارستقراطي غير أنها لم تكن في براءة (مارجريت).. لم تكن أبدًا كذلك..وأستطردت بالبرود الإنجليزي الشهير:

- ياحبيبتي أي رجل في العالم مهما كانت وسامته أو ثروته وشهرته لا يستحق أنـ... قاطعتها (مارجريت) مستطردة:

– أرجوك (ياسارة) افعلي المستحيل حتى يبقى (شهاب) معنـا هنا في القصر أو المزرعة المهم أن أراه وألا يغيب عني أنا أعلـم أن أبي لا يقطع أمرًا بدونك وسـيكون ذلك معروفًا لن أنساه لكي ماحييت.

ارتفعـا حاجبـا (سـارة) أعـلى عينيهـا الخـضراء الجميلة واستطردت بدهشة:

– ألهـذا الحـد يـا (مارجريـت)؟ أهـو ذلك الهـراء الذي يسمونه الحب من أول نظرة؟

بادرتها (مارجريت) قائلة بما يشبه العتاب:

– بالرغـم أنك صديقتـي الوحيدة إلا أنني أحار كثيرًا في أمـرك متى كان الحب يومًا هراء أو سـخف كـما تطلقين عليه دومًا؟

ارتسـمت على وجـه (سـارة) الفاتن..البارد.. ابتسـامة ساخرة واستطردت:

– الحب!! ياحبيبتي أنك تعيشين في عالم مثالي من أساطير الحـب والغـرام والتنهـدات والدمـوع هـذا العـالم ياعزيزتي انقـرض لم يعد له وجود العالم الآن يعـج بالصواريخ النووية

التـي تسـتطيع إفنـاء البشرية في دقائـق العالم في حـرب باردة ياعزيـزتي وأنـت تهيمين برجل لا تعرفي عنـه شيء أنك تحبين شـبحًا ياعزيزتي روميو وجوليت فشـلا وماتا و.... قاطعتها بغضب قائلة:

- ولكـن قصـة حبهما ألهمت ملايين العشـاق وشـيدت للحب صرحًا تحدى الزمن والصعاب والحروب والكوارث حتى قنابلك النووية وصواريخك تلك لاتستطيع هدمه.

أطلقـت (سـارة) ضحكـة أنثويـة صارخـة وهـي تقول بسخرية لاذعة:

- لا زلتي صغيرة ياعزيزتي ولم تعيشي العالم الحقيقي بعد لقـد ولدت وفي فمك ملعقة من ذهب لم تعيشي حياة الحرمان لم تفقدي أحبائك في حروب هذا العالم البشـع كانت ملامحها وهي تتحدث تعكس معاناة وألم حقيقي أستمر لثواني معدودة قبل أن تردف قائلة بخبث:

- وعـلى أية حال أريـد أن أرى هذا الروميـو فلربما أغير رأيي.

ارتفعـا حاجـب (ألـبرت فردريـك) واتسـعت عيناه في دهشـة بالغة فلـم يكد (راؤوا كوهين) يصوب مسدسـه نحو (شـهاب) حتـى ركله بسرعـة مذهلـة أطاحت بـه بعيدا وفي الوقـت الذي حاول العملاق (هانز) أن يسـدد له لكمة قوية في وجهه غاص (شـهاب) بجسدة لأسفل متفاديًا لكمته وفي آنٍ واحـد تحركت قدمه اليـسري لتركل ركبة (هانز) وراحت قبضته اليمنى تجبره على أبتلاع ثلاثة من أسنانه الأمامية دفعة واحـدة ليتأوه العملاق في ذهول ولم يمهله (شـهاب) الوقت الكافي لذلك بل قفز في الهواء وركله بيمناه ثم دار حول عقب قدمـه اليمني ودفع اليسرى بعنف في بطنه في ركلة كالصاعقة مـن ركلات (الكاراتيه) ليندفع جسـده المهول للخلف وقبل أن يسـقط فوق رفاقه المذهولين عاجله (شـهاب) بقذيفة من قبضته اليمن خلف أذنيه فقد على أثرها الوعي وترنح جسده المهول وسـقط فـوق رفاقه واصتطـدم الجميع ببـاب المكتب الـذي أنفتح على مصراعيـه في ضجة عارمة ليقفز (شـهاب) قفزة رائعة متخطيًا الجميع ومستقرًّا في باحة القصر الذي كان يمتلـئ قبل قليل بعدد كبير مـن الضيوف ليتبعه رفاق (هانز) الثلاثـة ويشـكلوا حوله مايشـبه الحلقة وبـدأوا الهجوم في آن

واحـد كانـت الضجة قد دفعـت (مارجريـت) للخروج من غرفتها بصحبة (سارة) ومن أعلى سلالم الطابق الثاني بالقصر وضعـت (مارجريـت) يدها عـلى فمها لتحـول دون خروج شـهقة عالية في حين بدأ البرود الإنجليزي لدى (سارة) يطل بقـوة من عينيهـا الخضراء وهي تتحسـس مسدسـها الصغير في حقيبتـة يدهـا وفي تلك الأثناء دار (شـهاب) حول أحدى قدميه ودفع بالأخرى في وجه أحد الثلاثة ليطيح به بعيدا فاقد الوعـي بعد أن أصاب جبهته بقـوة في حين حاول أحدهم أن يلتحم مع (شـهاب) ويشـل حركته لكنه فوجئ بنفسه طريح الأرض بعـد أن خطفه(شـهاب) بحركـة متقنـة من حركات (الجودو) ولم يكن الأخير بأسـعد حال من رفيقيه حين حاول أن يستل مسدسه فأمسك (شهاب) معصمه بقبضته الفلاذية وقيـده بسرعة فائقة وأنتزع المسـدس وبسرعـة خاطفة أطلق رصاصـة منـه دوت في باحـة القـصر لتطيح بالمسـدس الذي كان يمسـك به (راؤول كوهين) وسط ذهول الجميع في حين همست (سارة) في أذن (مارجريت) بسخرية:

– يبـدو لي ياعزيزتي ذلك الوسـيم كجيمـس بوند أقرب منه إلى روميو.

لم تحرر (مارجريت) جوابًا فلقد بلغ بها التأثر مبلغًا عزلها تمامًا عن العالم بحيث توجهت بكامل حواسها تجاه الشخص الوحيد الذي تحركت مشـاعرها نحوه..كامل حواسها كانت مع (شـهاب).. نظر (ألـبرت فردريـك) إلى العملاق (هانز) الفاقد الوعي وإلى رفاقه الثلاثة الذي فقد أحدهم وعيه وتمدد الآخران يتأوهان على الأرض من شدة الألم وصاح بقوة:

- من أنت بحق الشيطان؟

في حين هتفت (سـارة) من أعلى وهي تمسـك بمسدسها الصغير وتصوبه باتجاه (شـهاب) وتهتف بالبرود الإنجليزي الشهير:

- ليس قبل أن يندم أولًا على وقاحته ياسيد(ألبرت) مـ.. وبـترت عبارتهـا فجأة رصاصـة أطلقها (شـهاب) وهو يقفز بجسـده في الهواء ويدور حول نفسـه كلاعبي الجمباز ليواجه مصدر الصوت ليواجه (سـارة وليم) التي أطاحت رصاصته بمسدسـها دون ان تصـاب بـأذي بالرغـم مـن صغـر حجم المسـدس في يدها ويستقر(شـهاب) واقفًا على قدميه برشـاقة

مثيرة للإعجاب لتتسـع عيناها بذهول ويرتفع حاجباها بقوة مستطردة بحنق:

- إنك شيطان بالفعل أيها الوغد.

في حـين بدت (مارجريت) عاجـزة تمامًا أن تنطق بكلمة واحـدة فقط أخذت تحدق بـ(شـهاب) في حالـة من الذهول الممتزج بكل إعجاب الأرض.

أخـذ الجميـع يتطلـع لـ(شـهاب) وفي قبضتـه المسـدس الـذي غنمه منذ قليل من أحـد رفاق (هانز) وهتف (ألبرت) باستسلام بالغ وبما يشبه التوسل:

- أرجوك يا (شـهاب) أو أيًّا كان اسـمك سأعطيك كل ماتطلبه فقط لاتؤذي....قاطعه (شـهاب) وقد ارتسمت على وجه ابتسامة ساخرة وهو يقول:

- إذا تكلم صديقك باللياقة المطلوبة ماكان لكل ذلك أن يحدث ثم رمي بالمسـدس عـلى الأرض وهم بالانصراف غير أن (راؤول كوهين) هرول إليه قائلًا بأدب جم تلك المرة:

- أرجوك ياسيد (شهاب) تقبل إعتذاري ولنعد للمكتب فلدي صفقة أريد أن أعقدها معك صفقة ستجني من وراءها مالم تكن تحلم به من مال.

ابتسم (شهاب) بسخرية لاذعة مستطردًا:

- ومن أدراك أنني أحلم بالمال أيها الوغد.

ثم أخذ يعدل من هندامه وأردف قائلًا:

- على أية حال دعنا نجرب ثم تحركًا معًا للمكتب وقبل أن يدلف (شـهاب) بداخله التفت لـ(مارجريت) و(سـارة) وهتف مستطردًا:

- عذرًا سيداتي الجميلات فلم أسعى مطلقًا لأية مشاكل ولكنها تسعى دومًا خلفي.

ثـم دلف للمكتب وأخذت (مارجريـت) تتابعه بنظراته الولهة في حين غمغمت (سارة) ببرود:

- يالك من شيطان وسيم.

مـد (شـهاب) راحة يـده والتـي اسـتقرت عليهـا هدية (راؤول كوهـين) للفاتنـة (مارجريت) وما أن رأى (كوهين)

الـوردة الماسـية في يد (شـهاب) أو بالأحرى جهـاز التصنت الدقيـق وأحدث ما أبتكرته معامـل وكالة المخابرات المركزية الأمريكيـة (CIA) في السـتينات حتى أتسـعت عيناه وعلت وجهـه كل معـاني الدهشـة والتعجـب وهـو يحـدق في وجه (شـهاب) وقد تراقصت على شفتيه أبتسامته الساخرة المعودة تارة وبجهاز التصنت في قبضته تارة أخرى في حين بدا (ألبرت فردريك) لايفهم ماذا يجري فبادر قائلًا بدهشة:

- ماذا يعنى هذا بحق الشيطان؟

نظـر (شـهاب) وتحولت السـخرية في ابتسـامته إلى مكر واضح حين قال:

- أعتقد أن جهاز التصنت هذا لم يُفد كثيرًا ياعزيزي.

ثـم ألقى به ناحية راؤول الـذي ألتقطه بعد أن زالت عنه بعـض آثـار المفاجأة وهنا أخـذ (ألبرت فردريـك) يغمغم في بطء:

- جهاز تنصت.

قـال ذلـك وهـو يرمـق (راؤول كوهين) بنظـرات نارية بعد أن تأكد أنه كان يسـتغل ابنتـه الوحيدة في جمع المعلومات

عن (شـهاب) من وراء ظهره ولكـن (راؤول) تجاهل نظراته السـاخطة وقـد زالـت عنـه آثـار المفاجـأة تمامًـا وهـو يقول لـ(شهاب) برزانة:

– هـا أنا ذا يارجـل أطلب منك بكامـل الأدب واللياقة أن تخبرنـا مـن تكـون؟ ولك كامـل الحريـة في أن تجيب أو أن تنصرف ولن يعترض طريقك أحد.

ارتسـمت على وجه شهاب أبتسامة أراد لها ان تحمل كل غرور الأرض وهو يقول (لراؤول كوهين):

– تقصد لن يجرؤ أحد على اعتراض طريقي.

ابتلـع (كوهـين) هـذا الغـرور الصـارخ في حـين أردف (ألبرت فردريك) بتملق واضح:

– لا أحد في هذا المكان يرغب في المحاولة يارجل.

استطرد شهاب ساخرًا:

– على أية حال لم أسـعى للمشـاكل مطلقًـا ولكنها دومًا تعترض طريقي؟

اسـتطرد (كوهين) بابتسـامة فعل المسـتحيل كي يضفي عليها بعض الود:

– هل لنا أن نعرف كيف فربما أزلنا كل المشاكل والعقبات من طريقك وللأبد.

شـعر شـهاب أن كلا الرجلـين عـلى أسـتعداد كامل بل وبحاجة ماسة لأن يسمعوه فاستطرد واضفي على نبرة صوته بعض الأسى والحزن:

– وهل تستطيع قوة في الوجود أن تعيد أبي وأمي بعد أن ماتـا كمدًا بعـد أن تم سرقة كل أموالنا وممتلكاتنا فيما تسـميه العصابة التي تحكم مصر بـ(التأميم)، هل تستطيع قوة كانت أن تعيد أخي الوحيد الذي أطلق الرصاص على رأسه مباشرة لأنه لم يستطع أن يتحمل الذل والمهانة التي فرضها علينا عبد النـاصر وزبانيتـه بعد أن سرقوا مصنعـه وأجبروه على العمل فيه كعامل بأجر شـهري كان ينفقـه يوميًا فيما مضى على وقود سـيارته، مسـتقبلي الذي تحطم وأحلامي التي وأدوها وحبي الوحيد الذي قتلوه من يستطيع أن يعيد لي كل ذلك؟

التقـي حاجـب (كوهـين) في حـين حـدق (ألـبرت) بـ(شـهاب) وكانـا كلاهمـا يحمـلان نفـس السـؤال ولكـن (كوهين) كان أسرع واستطرد بدهشة:

- إذن أنت من ضحايا عبد الناصر.

أومـأ شـهاب برأسـه موافقـة ولازالـت ملامـح الحزن والأسـى المصطنعـين بادية عـلى وجهـه فاسـتطرد (كوهين) بتشكك واضح:

وكيف أتقنـت كل تلك اللغات الصعبـة؟ وتلك المهارة القتاليـة المذهلـة ومهارتـك البالغة في التصويب واسـتخدام السـلاح و....قاطعه(شهاب) مسـتطردًا بصرامة وهو يحدق في وجوههم المندهشة:

- إنني شـخص أسـعى للانتقام أحيا مـن أجله فلو أنني فقدت أحساسي بتلك الرغبة فلن أستطيع أن أواصل في تلك الحياة المزرية وسأطلق النار على رأسي مباشرة.

امتزجـت مشـاعر الإرتبـاك والدهشـة والتشـكك على ملامح كلًا من (ألبرت) و(كوهين) غير أن(ألبرت) أسـتطرد فجأة:

- وما الضمانات على ما تقول يا رجل؟

أطلق شهاب ضحكة ساخرة واستطرد بسخرية أشد:

– ضمانـات!! أية ضمانات!! لسـت مطالبًـا بأيًا منها فلم أطلـب من أحد أن يصدقني على أية حال كل مافي الأمر أنني أشعر بالشفقة تجاه مجهوداتكم الضائعة في معرفة حقيقة أمرى وها أنا ذا أخبركم بكل شيء طواعية.

نظـر إليـه (كوهـين) وحملـت نـبرة صوتـه جديـة بالغة واستطرد:

– ومـاذا لو أردنا اسـتغلال مواهبك تلك لتحقيق هدف مشترك؟

تصنَّع شهاب الدهشة وهو يستطرد قائلًا:

– أردتم!! من أنتم؟ وما الهدف المشترك بيننا؟

تابع (كوهين) مستطردًا باهتمام واضح:

– نحـن منظمة عالمية تهدف لمنع أنتشـار الأسـلحة الغير تقليديـة ولدينا أسـبابنا القوية ألا ينجح جمـال عبد الناصر في الحصـول عـلى صواريخ بعيـدة المدى لأنـه لو حصـل عليها سـيكون ذلـك تهديـد للأمـن والسـلم العالمـي و...قاطعـه (شهاب) بسخرية لاذعة:

– لا تبدو لي خيرًا لهذه الدرجة أيها الرجل.

ابتلع (راؤول كوهين) سخرية (شهاب) واستطرد بخبث:

- ولكن عدو عدو صديقي أليس كذلك؟

ثم صمت لبرهة حتى أشار إليه (شهاب) بسبابته متصنعًا اللامبالاة أن يكمل حديثه فواصل قائلًا:

- يوجد ضابط سابق بالجيش الألماني في حوزته التصميمات الهندسية المعدلة لصواريخ v-1 وv-2 والتي لم يجد (أدولف هتلر) الوقت الكافي لإنتاجها بعد أن سقطت برلين في يد الحلفاء والسوفيت هذا الرجل يعمل ضمن فريق العلماء الألمان في مشروع صواريخ القاهر والظافر التي أعلن عندها عبد الناصر منذ خمس سنوات وهو الآن يستجم لعدة أيام في باريس ومطلوب بشكل عاجل الحصول على تلك التصميمات ومنع وصولها لعبد الناصر وإلا سيتمكن من تطوير صواريخه بعيدة المدى.

عقد (شهاب) حاجبيه وهو يتطلع لـ(راؤول كوهين) و(ألبرت فردريك) ثم أستطرد ساخرًا موجهًا حديثه لـ(ألبرت) الذي ظل لفترة صامتًا ينصت باهتمام بالغ:

- وما علاقة الخيول بذلك يا عزيزي (ألبرت)؟

لم يحرر(ألبرت) جوابًا ولم ينتظر (شهاب) ذلك بل نهض فجأة واستطرد بحزم:

- نعـم عـدو عـدو هـو صديقـي تهلـل وجـه (راؤول) و(ألبرت) من جملة شهاب الأخيرة والتي أتبعها بقوله:

- ولكـن صديقـي يجـب أن يدفـع عشرة ملايـين دولار نظير تلك المهمة.

كان شـهاب يريـد أن يقنعهـما أنـه رجـل شـجع يسـعى وراء المـال بجانـب الانتقـام وكان لـه مـا أراد حين أتسـعت عينـا (راؤول كوهـين) عـل أخرهـا وأرتفعا حاجبـا (ألبرت فردريك) وهم (راؤول) ان يتحدث لولا أن بادره (شـهاب) بجملة أنجليزية مشهورة:

- هذا عرضي أقبله أو أرفضه.

٥- الأوغـاد..

صاح (شيمون إيزاك) رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد) بغضب عارم موبخًا مجموعة من ضباط الجهاز ممن اجتمع بهم على عجل فور إعلان جمال عبد الناصر إغلاق مضيق تيران في وجه الملاحة الاسرائيلية قائلًا:

- لماذا تنفق إسرائيل تلك الأموال كلها على مخابراتها، إذا كنا سنحصل على معلوماتنا فجأة من خطاب عام يلقيه عبد الناصر؟ كل ما يلزمنا مجرد جهاز راديو أو تليفزيون وليس جهاز مخابرات بتلك الضخامة أريد تعبئة المخابرات الإسرائيلية هنا وحول العالم فورًا، كي تمدني بتقرير عاجل عن الصواريخ التي صنعتها مصر وفوجئنا بها عام ٦٢، أن (جمال عبد الناصر) بإعلانه هذا قد أعلن الحرب علينا ويجب أن نحيد تلك الصواريخ تمامًا عند إندلاع المعركة، ثم ضرب براحة يدة اليمنى سطح مكتبه بعنف مستطردًا:

- لا بد من منع مصر بأي ثمن من أستخدام تلك الصواريخ عند نشوب الحرب.

ثـم وجه حديثـه بمزيج من الحنق والغضـب لتلك المرأة الفاتنـة صاحبـة القـوام الرشـيق والعيـون الزرقـاء والشـعر الأسود الطويل الناعم:

– ماهـذا الهـراء الذي يحـدث في مصر (ياراشـيل) وأين كانت شـبكة تجسسـك وماذا يفعل (ألبرت فردريك) هناك؟ هـل صدق أنه ثـري ألماني كل ماعليه هو أنفـاق الأموال التي يبعثها له الجهاز ببذخ دون فائدة؟

احتقـن وجـه ضابطـة المخابـرات الإسرائيليـة الحسـناء (راشيل موردخاي) وقالت بارتباك وتوتر:

– ولكـن ياسـيدي لقد كانـت المفاجأة للجميع الموسـاد والمخابـرات العسـكرية و...قاطعهـا بأن رمقها بنظـرة نارية مستطردًا:

– هل ستقضي الوقت في التبرير يا(راشيل) حتى تفاجئنا أحد صواريخ عبد الناصر وتسقط فوق رؤوسنا؟

ازداد احتقان وجهها الجميل واستطردت بحنق بالغ:

– أعدك ياسـيدي أن أوجه ضربة قاصمـة لهذا البرنامج أما عن شبكتي في مصر فلقد استطاعت تحديد عنواين هؤلاء

النازيـون الأوغـاد الذين يشرفون على صواريـخ عبد الناصر بـل لقد بعث (ألبرت فردريك) رسـالة تهديد لرئيس فريقهم (هانز مولر) و...قاطعها بغضب عارم:

- كفى هراء يا (راشـيل) أريد نتيجة حاسمة توقف هذا البرنامج على الفور.

ثم عقد حاجبيه بشدة وهو يصرخ في وجهها:

- هل تفهمين يا (راشيل)؟ إنه أمن إسرائيل.

ثـم ضاقـت عينـاه وازداد انعقـاد حاجبيـه واسـتطرد بشراسة:

- أريد تصفية (هانز مولر) بأسرع وقت ممكن لقد طلبت ذلك منذ أكثر من ثلاثة أشـهر ولم يحدث شيء حتى الآن وإلا فأسـقوم بإحالتك فورًا للتقاعد من(الموساد) وهذا آخر إنذار لكِ.

ثم أشاح بوجهه عنها في سخط بالغ.

باتـت (راشـيل) على وشـك الانفجـار من شـدة الحنق والغضـب ولكنهـا لم تحـرر جوابهـا ولم يمر كثير مـن الوقت حتـى أنفـض هذا الاجتـماع العاصـف الذي كان لـ(راشـيل

موردخـاي) فيه نصيب الأسـد من التعنيف والتهديد لفشـل رجلهـا (ألبرت فردريك) وشـبكة التجسـس الإسرائيلية في مـصر من تصفية (هانز مولر) حتى الآن وما أن دلفت لمكتبها حتـى ألقت بجسـدها عـلى أحـد المقاعد وأسرعت بإشـعال سـيجارة رفيعـة وأخـذت تنفـس دخانهـا في الهـواء بعصبيـة بالغة وهـي تضغط زر جهاز الاتصال الداخلي (الديكتافون) وتهتف بحدة:

- ألم تأتي أي أخبار من مصر يا (حاييم)؟

أجابهـا (حاييـم بنيامـين) سـكرتير مكتبها عبر أسـلاك الديكتافون بصوت محبط:

- للأسـف ياسـيادة العقيد لم تـــ... ثم بـتر عبارته فجأة وحملت أسلاك (الديكتافون) صوت (حاييم) المفعم بالفرحة تلك المرة وهو يقول بحماس واضح:

- لقـد أتى للتـو ياسـيادة العقيد برقية مشـفرة من مصر و...قاطعته بحدة:

- أريدها على الفور يا (حاييم).

ولم يمـر وقـت طويل حتى أمسـكت (راشـيل) بالبرقية بعـد أن قـام قسـم الشـفرة بالموسـاد بفـك رموزهـا وتألقت عيناها وارتسـمت عـلى وجهها الفاتن ابتسـامة غامضة وهي تقـرأ نص البرقية ببطء مغمغمة « شـيطان مـصري يكره عبد الناصر ومسـتعد للتعاون « تطلعت راشيل للبرقية للحظات ثم ضغط زر جهاز الديكتافون مرة أخرى قائلة:

- أريد إرسال برقية لمصرعلى جناح السرعة.

ثـم تركـت زر الديكتافـون وسـحبت نفسًـا عميقًـا من سيجارتها الرفيعة ثم نفثه في الهواء ببطء وهي تغمغم:

- عـشرة ملايين دولار أيهـا الوغد المصري،سـنري هل تستحق هذا المبلغ المهول أم تستحق الموت.

- لقـد تلقيـت برقية مـن (راشـيل موردخاي) بنفسـها بالموافقة وطلبت أن نبدأ في تجهيز (شهاب) للسفر لباريس.

وجه (راؤول كوهين) تلـك الجملة لـ(ألبرت فردريك) مـن داخـل مكتبـة، تجاهـل (ألـبرت فردريك) ذلـك التطور

المهم وأكتفى بأن عقد حاجبيه مشيحًا بوجهه عنه فاستطرد (كوهين) بحنق:

ماذا بك يارجل؟هل سأحادث نفسي طيلة الوقت؟

تحدث (ألبرت فردريك) بسخط قائلًا:

– لقد وعدتني مرارًا إنك لن تورط (مارجريت) في عملنا هذا كما أنها لا..قاطعه (كوهين) بصرامة:

– سحقًا لك أيها الوغد أنه أمن إسرائيل يارجل أنني أتعجب كيف لضابط سابق مثلك بجيش الدفاع الاسرائيلي أن يفكر بتلك الأنانية و..قاطعه (ألبرت) متسائلًا بغضب عارم:

– هل سيكون ذلك موقفك لو أنها أبنتك الوحيدة؟

صاح (كوهين) في وجهه مستطردًا بعنف:

– أنني فضلت الوطن على نفسي ولم أتزوج حتى الآن لأنجب أيها الوغد وهذا هو الفرق بيني وبينك.

لم يقتنع (ألبرت) مطلقًا بما قاله (كوهين) وأشاح بوجهه عنه بحنق في حين تابع (راؤول كوهين) حديثه ببرود بعد أن هدأت ثورته:

- اسمع يا (ألبرت) الموقف خطير ويحتاج كامل تركيزك فإعـلان عبد الناصر غلق مضيق تـيران معناه بوضوح إعلان الحـرب على إسرائيل وصواريخ عبـد الناصر أصابت الجميع في إسرائيـل بالذعـر منـذ عـام ٦٢ ونحن قادمـين على حرب لاشـك في ذلك و(شـهاب) هذا إما ضابـط مخابرات مصري يحاول الايقاع بشـبكتنا أو أنه حقًا كما يقول رجل يسعى وراء الانتقام وسيتم معرفة ذلك في باريس.

بدا الاهتمام يعود لوجه (ألبرت) واستطرد:

- وكيف ذلك؟

ارتسـمت عـلى وجـه (كوهـين) أبتسـامته الخبيثـة وهو يقول:

لقد أعدت حسـناء الموسـاد (راشـيل موردخاي) لذلك جيـدًا فلو أنه يعمل لحسـاب المصريين ستكتشـف ذلك فورًا وتقتله بلا تردد أو أنه فعلًا يسـعى للانتقام كما يقول فسـتقوم بتجنيده بعد أن تتأكد من قدراته بنفسـها ثم ازدادت ابتسامته الكريهة خبثًا وهو يقول:

– وبعد أن قبل استضافتك لحين سفره لباريس فستكون الفرصة سانحة لأن تطلق عليه (سارة) سهام أنوثتها الطاغية وأنـا على يقين أننا سـنعرف عنـه كل مانريد حتـى أننا ربما لا نحتاج أن نرسله لباريس.

أومأ (ألبرت) برأسه إيجابًا واستطرد بخبث واضح:

– نعم فأسـلحة سارة لايستطيع حتى حلف (وارسو)[1] التصدي لها.

استطرد كوهين بضحكة عالية:

– ولا حتـى حلف (الناتـو)[2] يارجل فأسـلحة حواء لم يستطع أحد ردعها منذ من بدء الخليقة.

(١) حلف عسـكري بزعامة الاتحاد السوفيتي ضم المعسكر الشيوعي وكان مقـره في العاصمـة البولنديـة وارسـو وتفكك هـذا الحلف بعـد تفكك الاتحاد السوفيتي.

(٢) حلف عسكري بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ضم المعسكر الغربي ومقره بالعاصمة البلجيكية بروكسيل ولازال قائمًا حتى الآن.

٦- على حافة الموت..

امتطى (شهاب) أحد الجياد القوية بمزرعة (ألبرت فريدريك) بضاحية المعادي بالقاهرة تلك المزرعة المليئة بأجود أنواع الخيول العربية والتي قامت بشرائها المخابرات الإسرائيلية كغطاء لوجود (ألبرت فردريك) في مصر وكان شهاب قد أطلق العنان لجواده وأخذ يقفز عدة موانع صناعية بمهارة مثيرة للإعجاب في حين أخذت الفاتنة الشقراء (مارجريت) تنظر إليه بانبهار بالغ بينما أخذت (سارة) تتمتم بصوت خافت:

- يبدو أنك ستكون أفضل مهمة تم تكليفي بها أيها الوغد الوسيم.

أنهى (شهاب) القفز على جميع الموانع بمهارة بالغة وسط إعجاب الفاتنتان (مارجريت) و(سارة) والتي أخذتا تتابعانه بنظراتهما ولم تكونا الوحيداتان اللتان تفعلان ذلك فمن خلف زجاج أحدى سيارة نقل الخيول بالمزرعة أخذ عملاق مفتول العضلات اختفي معظم وجهه خلف ضمادات طبية كثيرة أخذ يتحسس فمه الذي خلا من عدد كبير من

أسـنانه بغل واضح ونقمـة كبيرة وكان ينتظر سـاعة التحرك وهاهي قد حانت حين أقترب (شـهاب) من السيارة فضغط العملاق(هانـز) من فوره دواسـات السرعـة بحيث أخذت السـيارة تزمجر قبل أن يرفع قدمه اليمنى عن مكابحها لتنطلق كالسـهم باتجـاه (شـهاب) محدثـة خلفها سـحابة مـن الغبار والأتربة وهو يهتف من داخل كابينة القيادة بغل واضح:

– سأمزكك أيها الوغد سأمزكك حتى ولو كان هذا آخر عمل أقوم به في حياتي.

ثم أخذ يضحك كالمجنون والسـيارة تقترب بسرعة أكثر جنونًا من شـهاب، شـهقت الفاتنتان (مارجريت) و(سـارة) بقوة واندفع (كوهين) و(ألبرت) خارج المكتب على وقع تلك الجلبة وتجمع العديد من العمال بالمزرعة وأخذت (مارجريت) تصرخ بذعر وتهتف باسـم شهاب ولكن ماذا عساه أن يفعل مـع تلك المفاجأة المروعة ولم يعـد بينه وبين الإصتطدام بتلك الشاحنة الضخمة سـوى ثواني قليلة، واصتطدام كهذا كفيلًا بـأن يسـحق عظامه ويودي به في الحال نعـم كان الوضع بالغ الصعوبة ولكن (شهاب) كان له رأيًا آخر فبدلًا من أن ينطلق

بالجواد هاربًا من تلك الشاحنة المجنونة أطلق العنان لجواده ووكزه في بطنه بعنف فأنطلق كالقذيفة باتجاه الشاحنه.. باتجاهها تمامًا.. فدفنت (مارجريت) وجهها الجميل في راحتيها الرقيقتين ذعرًا وفزعاً في حين ارتفعًا حاجبا سارة الجميلين واتسعت عيناها الخضراء عن آخرها وأطلقت شهقة عالية قائلة بعنف:

– سيقتل هذا المجنون نفسه أنـ...وبترت عبارتها فجأة وأخذت تصرخ كالمجنونة:

– لقد فعلها الوغد يالها من شيطان فحتى جيمس بوند لم يكن ليستطيع فعل ذلك.

فلقد قفز شهاب من فوق الشاحنة ليعبرها بجواده وساعده على ذلك السرعة الجنونية التي انطلقت بها السيارة بحيث قفز بجواده وتولت الشاحنة الباقي حيث عبرت كالسهم من أسفل منهم وتجاوزتهم ليهبط شهاب بجواده خلفها مباشرة فيما يشبه المستحيل في مشهد يصعب تصديقه وقعت المفاجأة على (هانز) وقع الصاعقة ووجد نفسه مباشر أمام صور المزرعة الخرساني ولم يستطع مع تلك السرعة

الجنونية التي كان ينطلق بها ليصدم (شهاب) سوى أن ينحرف بعنـف في اللحظات الأخيرة قبل الاصطدام بالسـور ضاغطًا عـلى مكابح السـيارة لتنقلب وتدور حول نفسـها عدة مرات قبـل أن تتوقف ويحـاول العملاق (هانز) اسـتخدام عضلاته المهولـه في فتـح بابهـا والخـروج إلا أن انفجـارًا هائلًا ضرب السـيارة نتيجة أرتجاج الوقود بقوة في خزانها الضخم لتتحول إلى كتلة من اللهب ألتهمت السيارة وسائقها العملاق والذي أبرَّ بنصف قسمه النصف الأخير منه في واقع الأمر حيث كان هـذا العمـل هو آخر عمل يقوم بـه في حياته في حين تدلي فك (ألـبرت) وجحظـت عينـاه من شـدة الذهـول في حين أخذ (كوهين) يغمغم بذهول:

- أقسـم (بحائـط المبكـى)[1] أنه شـيطان فليس هذا من فعل البشر.

(١) حائط البراق والذي يدعي اليهود أنه خاصًّا بهم دون غيرهم وأن البكاء عنده يكفر الذنوب.

٧- وحده ضد الجميع..

- انعقـدا حاجبـا (ألـبرت فردريـك) واكتسـت ملامحه بالضيق والضجر وهو يوجه حديثه لشهاب قائلًا:

- لقد نال(هانز) جزاء حماقته على أية حال.

كان الجميع قد غادر مزرعة ألبرت وتوجهوا لقصره بعد مصرع (هانز) المدوي واكتست ملامح (شهاب) بالجمود وتجاهل عبارات (ألبرت) وقال ببرود:

- حسـنًا أيها السـادة وماذا بعد؟ هل حسـمتم أمركم أم لازلتم بحاجة للتفكير؟

ارتفعا حاجبا (ألبرت فردريك) بدهشة مستطردًا:

- إننـي لم أقابـل في حياتي رجلًا يمتلـك تلك الأعصاب الحديديـة لقد كـدت تموت يارجـل ولا يمثـل ذلـ....قاطعه شهاب بسخرية:

- شـكرًا ياعزيزي ولكن يبقى السؤال قائمًا هل حسمتم أمركم ألا؟

ابتسـم (كوهين) قائلًا بخبثه المعتاد وسط دهشة (ألبرت فردريك) التي يتطلع بها لـ(شهاب):

- بل حسـمنا أمرنا بالطبع ولكن أليسـت عشرة ملايين دولار مبلغ ضخم ياسيد (شهاب)؟

استطرد (شـهاب) وابتسـم بمكر وألقى بالطعم وانتظر صيده أن يلتقمه:

- إسرائيل مسـتعدة أن تدفع هذه المبلغ آلاف المرات لمنع عبد الناصر من إطلاق تلك الصواريخ عليها.

تصنعـا (ألبرت) و(كوهين) كلاهما الدهشـة واسـتطرد الأول بتعجب زائف:

- إسرائيل!! وما دخل إسرائيل بالموضوع؟

ابتسم (شهاب) واستطرد بسخرية لاذعة:

- كفـاك مكـرًا يارجـل فعبـد النـاصر لـن يمـلأ تلـك الصواريخ بالشيكولاته وهو يقصف بها إسرائيل عند إندلاع الحرب.

حاول (ألبرت) أن يخفي معالم الارتباك على وجهه في حين فعل (كوهين) العكس تمامًا حين أبتسم بخبث بالغ واستطرد:

- وهل توافق على العمل لصالح إسرائيل؟

ويبدو أن السمك التقط الطعم فاستطرد (شهاب) ببرود:

- إنني لا أعمل لصالح أحد بل أعمل لصالحي أنا وإن كانت إسرائيل ستمكنني من تحقيق انتقامي فلابأس.

استطرد (ألبرت) بتوجس:

- وماذا لو كنت ضابط مخابرات مصري؟

ضحك (شهاب) بسخرية واضحة مستطردًا:

- وماذا لو لم أكن كذلك؟

بادره (كوهين) مستطردًا:

- ماذا تعني؟

(شهاب): أعنى أن التأكد من ذلك ليست مسئوليتي بأي حال من الأحوال بل مسئوليتكم أنتم.

ثم أضاف بسخريتة اللاذعة:

- إلا إذا كنتـم تريـدون شـهادة معتمدة مـن المخابرات المصرية تفيد بعدم عملي لديهم.

تجاهـل (كوهين) سـخرية (شـهاب)اللاذعة واسـتطرد متصنعًا الهدوء:

- ولكن مبلغ ضخم كهذًا يحتاج لوقت لتدبيره و...

بادره (شهاب) بثقة ممزوجة ببعض الغرور:

- لـن أتقـاضى دولار واحـدًا إلا بعـد الحصـول عـلى الوثائق.

ارتفعا حاجب (ألبرت) في دهشـة في حين اتسـعت عينا (كوهين) في دهشة مماثلة واستطرد قائلًا:

- ألهـذا الحد تثق في قدراتـك؟ وكيف تضمن حصولك على النقود بعد تنفيذ المهمة وحصولك على الوثائق؟

ابتسم (شهاب) مستطردًا بسخريته المعهودة:

- الضمانـات!! أنتـم مـن يجـب أن يبحث عـن ضمانات تمنعنـي مـن الذهـاب لأي سـفارة لإسرائيـل في أي مكان في

العـالم وقتها وبيـع التصميمات لهـم بأضعاف أضعـاف المبلغ الذي طلبته منكم ثم استطرد بغرور بالغ:

- أما عن قدراتي فلا تقلق بشأني.

بـدا ذلك مربـكًا ومحيرًا لكوهين أو ثعلب (الموسـاد) كما يطلقون عليه في المخابرات الإسرائيلية ولم يختلف الأمر كثيرًا رجـل (الموسـاد) في مصر (ألبرت فردريـك) حين أخذ يحدق بـ(شـهاب) بدهشـة بالغـة ولم يمر كثـيرًا من الوقـت قبل أن يستطرد (كوهين):

ـ وهو كذلك ياسيد(شهاب) فلنبدأ العمل فورًا.

- إنني أحبك.

دائمًا ما كانت تلـك الجملة لها تأثيرها وجاذبيتها عبر كل العصور ولكن عندما تأتي على لسـان فتـاة كـ(مارجريت) بما تمثلـه من تجسـيد بالـغ الدقة للفتنـة والبراءة في نفـس الوقت فأن تأثيرها يصبح سـحريًا نعم سـيكون لها تأثير السـحر على قلب أي رجل ولكن (شـهاب) لم يكن كأي رجل وقلبه هذا

أنتزعتـه آلام وجراح وعذابات أمته عبر العصور فهاهو يبدو جامد الملامح وهي تتطلع له بانبهار بالغ مستطردة:

– ينتابنـي الذعـر كلما تخيلـت أنني لن أراك مـرة أخرى فلنسـافر سـويًا ونعيـش في أي بلـد وعنـدي من الأمـوال ما يكفينا لبقية عمرنا أرجوك يا(شهاب) أرجوك أنني لاأحتمل العيش بدونك.

نظر إليها (شهاب) قائلًا برزانة:

– إن المسـتقبل أمامك يا (مارجريت) أما أنا فإنسـان بلا مسـتقبل فالمـاضي يطـاردني أينما ذهبـت سـتتحول حياتنا إلى جحيم و..قاطعته بلهفة وشوق بالغين:

– هذا الجحيم سيتحول إلى جنة مادمنا معًا سنتغلب على أي شيء وكل شيء ما دمنا سويًّا.

كان حبًّا جارفًا قد اجتاح كيانها الرقيق بحيث أغرورقت عيناها بالدمع تلك العينان الزرقاء التي اشـتدت قسوة جمالها وهي تفيض بهذا الدمع وتتطلع لـ(شهاب) بشوق بالغ وحب صـادق ولكنه نذر حياته لشيء أسـمى ملك عليه قلبه وعقله ووجدانـه بحيث بات عاجزًا..عاجزًا تمامًا عن التخلي عنه أو

التنكر له مهما كانت الأسباب ومهما بلغت الصعوبات ورغم قسـوة المغريـات وبعـزم الرجال وشـهامة الأبطال أسـتطرد بحزم:

- إنني أعيش من أجل هدفي ولا مكان في قلبي لغيره.

- إنـه ليـس بـشر!! أنه جبـل مـن الثلج وليـس بقديس فحتى القديسـين لايملكون رباطة الجـأش العجيبة لدى هذا المـصري ففـي الأيام الثـلاث الماضية لم أترك وسـيلة أو حيلة إلا واسـتخدمتها إلا أنه كان دائما وغدًا ساخرًا لايبالي بفتنتي وأنوثتي الطاغية التي لم تخذلني يومًا حتى (مارجريت ألبرت) بجمالها الصارخ لم يكترث هذا الوغد بها مطلقًا أنني لم أرى في حياتي كلها رجل بهذا الثبات.

قرأت حسناء الموسـاد (راشيل موردخاي) تقرير (سارة وليم) بعد فك شفرته باهتمام بالغ وهي تنفث دخان سيجارتها الرفيعة وتنقر بعصبية واضحة على سطح مكتبها الأنيق بمبنى المخابرات الإسرائيلية (الموساد) بتل أبيب وأخذت تغمغم في في دهشة:

– شيطان أم قديس!! من تكون أيها المصري؟

كانت (سارة) قد بعثت تقريرًا مفصلًا عن (شهاب) منذ أن رأتـه وأنطباعها الشـخصي عنـه وتلقت (راشـيل) تقارير مماثلة مـن كلًا من (كوهين) و(ألـبرت) ثم ضغطت بعصبية زر (الديكتافون) قائلة بحدة:

– أرسـل تلك البرقية لـ(راؤول كوهين) فورًا (الفرعون سيصل باريس مساء اليوم في السابعة مساءًا بتوقيت فرنسا).

ثم عـادت ترفـع أصبعها الرقيـق عـن زر(الديكتافون) حتى دون أن تنتظر تعليق سكرتير مكتبها (حاييم بنيامين).

كانت (راشـيل موردخاي) في موقف لاتحسـد عليه بعد إعلان جمال عبد الناصر غلق مضيق تيران ومايمثله ذلك من إعلان واضح للحرب على إسرائيل كما أن شـبكة التجسـس التـي تديرها في مصر أخفقت حتـى الآن في إجهاض برنامج الصواريـخ المـصري بعيـد المدى وكونها المسـئولة عـن دائرة مـصر والشرق الوسـط في (الموسـاد) جعلها ذلـك في حاجة ماسة لتحقيق أي نجاح لتحتفظ بموقعا داخل (الموساد) قبل أن ينفذ رئيسه تهديده بتسريحها منه ونقلها لأي عمل إداري.

فعادت تغمغم بشرود:

- أنتظر مقابلتك على أحر من الجمر أيها المصري.

٨- مهمة في باريس..

بأحـد الفنادق الشـهيرة بالعاصمـة الفرنسـية (باريس) وقف شهاب بقامته الرياضية الممشوقة أمام موظف الاستقبال بالفندق وتحدث بفرنسية سليمة قائلًا:

- أريد حجز غرفة تطل على برج إيفل من فضلك.

ومـا هـي إلا لحظـات حتـى أنهـى موظـف الاسـتقبال الإجـراءات المتبعـة وصعـد شـهاب لغرفتـه واسـتلقي عـلى السريـر الوحيـد بهـا وكانـت تلك هـي أول مرة منـذ أن عبر البوابـة الزمنية ورجع لعـام١٩٦٧ لمنع وقـوع الهزيمة المهينة التـي تكبدتها مصر على يد إسرائيل في ٥ يونيو من ذلك العام كان يعلم جيدًا أن (الموسـاد) سـيحاول تجنيـده بعد أن نجح في إبهـار رجلـه في مـصر (ألبرت فردريـك) والـذي بالتأكيد أرسـل لـ(الموساد) تقريرًا مفصلًا عنه وهذا الخبيث (كوهين) بالتأكيد قد فعل نفس الشيء بدليل المحاولات المسـتميتة من تلك الحية الفاتنة (سارة وليم) لمعرفة أي معلومات عنه وكان (شـهاب) على يقين أيضًا من أن (الموسـاد) سـيقوم باختباره أولًا للتأكـد مـن قدراته قبـل أن يقوم بتجنيده كانت السـاعة

قـد تجـاوزت الثانيـة صباحًا بعـد منتصـف الليل ويبـدو أن (الموسـاد) ليس لديه وقـت ليضيعه فبينما (شـهاب) يفكر في الخطـوات القادمـة إذا بعـدة طرقات على بـاب غرفته فنهض برشـاقة وأضاء نور الغرفة فوجد أما بابهـا من الداخل جوابًا ملقـى على الأرض ففتح الجواب ليجد ورقة بداخله مكتوب فيها (الهدف في الغرفة رقم ٣٨) أرتسمت على وجه (شهاب) أبتسامة ساخرة وهو يغمغم:

- حسنًا أيها الأوغاد ستحصلون على ماتريدون.

كانـت (راشـيل موردخـاي) في تلـك الاثنـاء تجلس مع مدير مكتب (الموساد) بفرنسا (ديفيد أهاروني) بمقر السفارة الاسرائيلية في باريس وشـكل ذلك الفسـتان الأسود القصير الـذي ترتديـه مع بشرتهـا الناصعة البيـاض وعينيهـا الزرقاء الساحرة جمالًا يتسم بالقسوة في شدته وأنعكس ذلك بوضوح على (ديفيد أهاروني) وهو ينظر إليها بهيام واضح قائلًا:

- أَمَـا آن الآوان ياعزيـزتي (راشـيل) أن تفكري بعرض الزواج الذي تقدمت به إليك عدة مرات و... قاطعته بضحكة

صارخـة الأنوثة وهي تنظر إليه بـدلال عجزت أن تخفي مابه من سخرية وقالت بنعومة:

- ألم تيأس بعد يا (ديفيد)؟

ثـم أخرجت من حقيبتها الأنيقة أحد سـجائرها الرفيعة والتـي أسرع (ديفيـد) يشـعلها بقداحتـه الذهبيـة الخالصـة مستطردًا بولع بالغ:

- لـن أيأس مـا حييت يـا (راشـيل) فأنت حبـي الأول والأخير.

نظرت إليه بعيناها الزرقاء الساحرة واستطرد بمكر:

- حبك الأول والأخير في ورطة كبيرة يا (ديفيد).

اندفع (ديفيد أهاروني) مستطردًا قوة:

- لو أن شـياطين الأرض حاولت أن تزعجك سـآتي بها تحت قدميك تركع تطلب الصفح والرحمة.

منحته (راشيل) ابتسامة أودعت فيها كل جاذبيتها وهي تستطرد قائلة:

- أعلـم يـا (ديفيـد) أنـك رجـل شـهم ولكـن الأوغاد يحاولـون أن يجعلوا مني كبش فـداء بعد أن أعلن عبد الناصر

عن غلـق مضيق تيران وهذاالحقير (شـيمون إيـزاك) هددني بالطـرد مـن (الموسـاد) إن لم أجـد حـلًا لإجهـاض مـشروع الصواريـخ المصريـة وكل مـا أرجـوه منك مسـاعدتي فـ.... قاطعها مستطردًا بحدة:

- لم تُخلقـي حتـى تترجـي أحـد يا (راشـيل) بـل تأمري والجميع ينفذ تحت تأثير عينيك الساحرة.

بادرته بخبث مستطردة:

- هل أستطيع أن أعتمد عليك يا (ديفيد)؟

استطرد (ديفيد) بثقة بالغة:

- بكل تأكيد ياعزيزتي ولكن أنا الذي أرجو بل وأتوسل أن تنظري في طلبي الذي قدمته لك مرارًا وتكرارًا.

تصنعت (راشيل) الاهتمام واستطردت بدلال:

- حسنًا يا ديفيد لك وعدي بذلك.

ثـم أطلعتـه (راشـيل) على خطتهـا لتجنيد (شـهاب) أو التخلـص منـه إذا ما كان يعمل لحسـاب المصريين فاسـتطرد (ديفيد أهاروني) بشراسة:

– ولم كل ذلـك ياجميلتي سـأحضره راكعًـا تحت قدميك يخبرك بما تريدين و...قاطعته (راشيل) بهدوء:

– لا يا (ديفيد) أريدك أن تلتزم بالخطة التي وضعتها.

استطرد (أهاروني) بحماس بالغ:

– كل إمكانيات المكتب سأسـخرها لك يافاتنتي ولو أن هذا المصري إبليس نفسـه وليس شـيطان كما تقولين سـآتي به راكعًا تحت قدميك كما وعدتك وبإشارة من أجمل أصبع رأيته في حياتي.

نظـرت إليـه بامتنان مصطنع وارتسـمت ابتسـامة خبيثة على وجهها الفاتن:

– شكرًا لك يا عزيزي سيأتي اليوم الذي أرد لك فيه هذا الصنيع.

لم ينطـق ديفيـد بكلمـة واحدة بـل أخذ يتطلـع إلى جمالها الصارخ بنشوى بالغة.

انطلقـت عدة طرقات هادئة على بـاب الغرفة رقم(٣٨) بالفندق أعقبها دخول أحد موظفي خدمة الغرف يدفع عربة

سرفيـس أمامـه وفوقها بعـض المأكـولات والـشراب وكان بالغرفة ثلاثة رجال ضخام البنية تبدو علي وجهوههم مظاهر القسـوة والعنـف ولم يكترثوا بموظف الفندق هذا وأشـاروا لـه بلامبـالاة أن يضـع ما أتى بـه وينصرف وتحـدث أحدهم للآخرين بالعبرية قائلًا:

- كم أشـفق على ذلـك المصري الأحمق فقبل أن أسـلمه لأدون (أهاروني) سأقوم بنزع أظافره وأحتفظ بها كتذكار.

ضحك رفيقاه وأردف أحدهم قائلًا:

- لقد أمر أدون (أهاروني) بإحضاره حيًا يا (شاؤول).

استطرد شاؤول بسخرية:

- نعم يا (ليفي) ولكنه لم يعطي تعليمات بشأن أظافره.

علت ضحكاتهم الشرسة بالغرفة ولكنهم أبتلعوها فجأة حين وجه موظف الفندق لهم بالعبرية وبلهجة ساخرة:

- الأفضل أن تشفقوا على أنفسكم أيها الأوغاد.

لم تدُم صدمة المفاجأة سوى عدة لحظات وهو ماكان كافيًا لـ(شـهاب) الذي تنكر في زي موظفي خدمة الغرف بالفندق أن يحصل عـلى مايريد فقبل أن يتمكنوا من فعل أي شي ركل

(شـهاب) بعنف عربة السرفيس فأندفعـت ترتطمت بقوة في بطـن (شـاؤول) ثم مال بجسـده متفاديًا ركلة أحـد رفاقة ثم أعتدل بسرعة وهوي بقبضته الفولاذية على مؤخرة عنقه فخر فاقـد الوعي في حين حاول (ليفي) ان يسـتل مسدسـه ولكن (شهاب) عاجلة بلكمة خطافية بدا من خلالها كمحترفي تلك الرياضـة حين أفقدته وعيه في حين أنقض (شـاؤول) أشرهم وأضخمهم بنية على شـهاب وصدمـه بالحائط بعنف وأحاط عنقـه بيديه ولكن (شـاؤول) ندم على ذلـك مابقي من عمره حـين اندفعـت ركبه (شـهاب) تـضرب بعنف مابـين رجليه ليتأوه من شـدة الألم في حين انطلقـت قبضته تعيث في وجهه فسـادًا قبل أن يضع لمسـاته الأخيرة من خلال ضربة سـاحقة مـن ضربات الكاراتية براحة يده اليسرى هوى بها فوق عنقه فقد على إثرها (شـاؤول) الوعي وكان (شهاب) كريمًا مع إلى حد كبير حين منحه التذكار الذي كان يريده بعد أن أجبره على ابتلاع جزء كبير من أسـنانه الأمامية، ألتقط شـهاب مسدس (ليفي) الملقى على الأرض ودسـه في ملابسـه وأخذ يتفحص الغرفـة وفجأة أنطلق صوت أزيز من ملابس (شـاؤول) فمد

(شهاب) يده فأخرج من ملابسه جهاز لاسلكي وضغط على زر الاستقبال فجاؤه صوت أجش يقول بالعبرية:

- أهاروني يتحدث كيف تسير الأمور يا (شاؤول)؟

جاوب (شهاب) بلا تردد وقلد صوت (شاؤول) ببراعة قائلًا:

- لقد أنتهينا من تنفيذ المهمة ياسيدي.

(أهاروني):

- حسـنًا وافني في المكان (c) حالًا سـتجد سيارة سوداء بانتظارك بجانب الفندق.

أنهى (شـهاب) الاتصال مـع (ديفيد أهـاروني) وغمغم بهدوء وقد أرتسمت فوق وجهه أبتسامته الساخره:

- يبـدو أن الأمور تسـير بشـكل جيد أنتظـروا المزيد من المفاجآت أيها الأوغاد.

حسنًا..حسـنًا سـأذهب إلى المكان (c) ولكن أرجوك لا تطلـق النار أرجـوك لاتطلق النـار.. انطلقت تلـك الكلمات المذعورة من سـائق السيارة السوداء التي بعث بها (أهاروني)

إلى رجالـه بعـد أن باغتـه (شـهاب) واقتحـم سـيارته وأمره بصرامه أن يتوجه للمكان (c) استطرد (شهاب) بسخرية:

– كفـاك ذعـرًا يا رجل فعـلى أية حال لـن أقتلك قبل أن نصل للمكان المطلوب.

أتاه صوت السائق متحشرجًا واستطرد برعب:

– الرحمة ياسيدي لاتقتلني أرجوك وسأفعل كل ماتطلبه مني أرجوك و...قاطعه (شهاب)بصرامة:

– أنـت من سـتحدد مصيرك أيـه الوغد فعنـد أي بادرة للمراوغة سأطلق النار عليك بلاتردد.

اندفع السـائق يقسـم أنه لن يراوغ أو يمكر حتى ألجمته كلمات (شهاب) الصارمة:

– أصمت أيها الوغد وركز إذن في القيادة.

لم ينطـق السـائق بعدها حرفًـا واحدًا وظـل صامتًا حتى بـدت مشـارف الريـف الفرنسي من أحـد ضواحـي باريس المنعزلة فتكلم بصوت خافت من شدة الرعب قائلًا:

– تلـك الفيـلا التي تلـوح في الأفق ياسـيدي هي المكان (c) أقسـم لـك و..قاطعه (شـهاب) بـأن ضربه أسـفل إذنه بكعب المسدس فخر فاقد الوعي واستطرد بسخرية:

– أعلم أيها الوغد أنك لاتكذب فأمثالكم يحرصون على الحياه أكثر من شرفهم وأوطانهم.

ثـم أخرجه من السـيارة بعـد أن كمم فمه وقيـده وألقي به بين تلك الأشـجار الكثيفـة الممتدة على طول الطريق ونظر للفيلا التي لاحت له في الأفق وغمغم قائلًا:

– لنـرى كم من الأوغـاد سـأضطر لأن أفقدهم وعيهم الليلة؟

في تلك الأثناء جلست فاتنة الموساد (راشيل موردخاي) ووضعت بين شفتيها سـيجارتها الرفيعة التي لاتكاد تفارقها فأسرع (راؤول كوهين) الذي أتى قبل (شهاب) لفرنسا بناءًا عـلى تعليـمات منها يشـعلها بقداحتـه وقد وضع عـلى وجهه أبتسامته الماكرة وأردف قائلًا:

– لا داعي للقلق ياسيدتي فـ..قاطعته قائلة ببرود:

– لقـد ذكـرت في تقريـرك يـا (راؤول) أن ذلك المصري يساوي فرقة كوماندوز كاملة ألا تبالغ بعض الشيء؟

اندفع (راؤول) يؤكد:

– إنـه يقاتل بيديـه العاريتين بشـكل لم أراه أبدًا في حياتي وسرعـة رد فعلـه مذهلة كما أنـه يجيد التصويب بشـكل رائع كما....قاطعه (ديفيد أهاروني) بحدة:

– كفـاك مبالغات يا (كوهين) إنك تتحدث عن (سـوبر مـان) وليس مجرد مصري حقير ويبدو أن الفترة الطويلة التي قضيتهـا بعيدًا عن قسـم العمليات بـ(الموسـاد) جعلك تنبهر بأبسط الأشياء.

لم تعره (راشـيل) أهتمامًا وأشارت لـ(كوهين) أن يكمل واستطردت متسائلة:

كيف يبدو يا (كوهين) صفه لي.

استطرد (كوهين) بحماس:

– إنـه رجـل في منتصـف عقـده الثالـث طويـل القامـة عريـض المنكبـين يتمتع بجسـد رياضي واضح كما أنه وسـيم بـل أن وسـامته ملفته للنظر حتـى أنه تلقى عرضًا من أشـهر

مخرجـي السـينيما المصرية بـدور البطولة في أحـد أفلامه و... قاطعه (ديفيد أهاروني) بسخرية:

– بعد لحظات سـيكون هذا (السوبر مان) الوسيم ملقى على الأرض مقيد اليدين والقدمين بعد أن أوقعه حظه العسر في قبضة شاؤول و...قاطعته (راشيل) بأن صرخت في وجهه بغضب بالغ:

– لمـاذا تصرفت على هذا النحـو الغبي يا(ديفيد) ألم نتفق عـلى الإلتزام بالخطة التـي وضعتها أنك تفسـد الأمر بغباءك هذا.

احتقن وجـه (ديفيد أهاروني) بعد هـذا التوبيخ العنيف وبرغـم شراسـته البالغة إلا أنه بدا كالقـط الأليف أمام فاتنته الجميلة(راشيل موردخاي) فأسرع مستطردًا:

– لا تنزعجي يا (راشيل) فالأمور تسير على ما يرام أؤكد لك أنها كذلك.

ثـم انطلق أزيز جهاز الاتصال الخاص به فأسرع وتناوله وضغط زر الاستقبال وتحدث بصرامة:

- أهـاروني يتكلـم هـل أحـضرت الرجـل المطلـوب ياشاؤول؟

أتاه صوت محدثه:

- نعم ياسيدي وأريد كلمة المرور فأنا أمام بوابة الفيلا.

ابتسـم ديفيـد ابتسـامة النـصر وهـو ينظـر لـ(راشـيل) مستطردًا:

- كلمة المرور هي (راشيل).

ثـم أنهى الاتصـال ووجه حديثه لـ(راشـيل موردخاي) التـي بدى الاهتـمام واضحًا عـلى وجهها في حين بدا الشـك والريبة على وجه (كوهين):

- ألم أقل لك ياجميلتي أن كل شيء على مايرام.

ثم وجَّه حديثه لـ(كوهين) بسخرية بالغة:

- هيا نهبط لأسفل ياعزيزي لنرى هل لازال السوبر مان الذي تتحدث عنه يحتفظ بوسامته أمل لا؟.

وهبط الجميع للطابق السـفلي ليتلقـوا المفاجأة..المفاجأة المذهلة..

٩ـ العميل 007..

وقـف شـهاب بقامتـه الممشـوقة بـين رجلين مسـلحين ضخام البنية بالطابق السفلي بفيلا (الموساد) بأحد الضواحي الجنوبية لباريس وقد ارتسـمت على وجهه أبتسـامه سـاخرة واستطرد بسخرية أكبر حين رأي (راؤول كوهين):

– كيف حالك يا صديقي العجوز لماذا لم نسافر سويًّا على طائرة واحدة كي نقطع الملل؟

جحظـت عينـا (راؤول كوهـين) وكادت تخـرج مـن محجريها حين رأى شهاب وهتف بذعر:

– إنـه هـو!! أنه الشـيطان المصري الذي حدثتـك عنه يا (راشيل) ألم أقل لك أنه شيطان؟.

انتهـز (شـهاب) حالة الفـوضي التـي أحدثهـا (راؤول كوهـين) ودفـع راحـة يـده اليمني بشـكل مباعـت وبسرعة مذهلـة وهـوى بهـا على عنـق أحد الرجـال المسـلحين فأفقد الوعي في الحال وقبل أن يتمالك الآخر نفسـه كان شـهاب قد انتزع بقبضتـه الفولاذيه بندقيته الآلية وركلـه ركلة كالزلزال مـن ركلات (الكاراتيه) اسـتقرت في بطنـه فأطاحت به عدة

أمتار وأسـقطته أرضًا وبكعـب البندقية الألية التي غنمها منه ضربـه فوق رأسـه ليفقده الوعـي هو الآخر ، تملـك الذهول مـن الجميع من شـدة المفاجأة ومـن السرعة المذهلـة والمهارة العجيبـة التي يقاتل بها (شـهاب) والأهم هـو رباطة الجأش الغريبـة التـي يتحـلى بها حـاول (ديفيـد أهاروني) أن يسـتل مسدسه ألا أن (شهاب) أصاح به برصاصة أصابت المسدس والقت به بعيدًا.

أخـذ الجميـع يحـدق بشـهاب بذهـول وكانـت أول من تمالكت نفسـها هي الحسناء (راشـيل موردخاي) حين قالت وهي تحدق بـ(شهاب):

- يبدو أنك كنت محقًا يا (كوهين)..محقًا تمامًا.

استطرد (شهاب) بسخرية امتزجت بالصرامة:

- أنت يا (كوهين) أو أيًا كان أسمك أنت مدين لي بعشرة ملايين دولار وليس لدي الكثير من الوقت لأضيعه معك.

هتف (ديفيد أهاروني) بسخط بالغ:

- لا تتمادى أيها الوغد المصري فلن تخرج حيًا من هنا.

استطرد (شهاب) بمزيد من السخرية:

- هل تراهن على ذلك أيها الحقير؟

اندفع (ديفيد أهاروني) يقول بكل غضب الدنيا:

- سـأقدم اسـتقالتي فورًا من (الموسـاد) لو خرجت من هنا على قدميك أيها الوغد.

انفجر (شهاب) بالضحك واستطرد بسخرية بالغة:

- الموسـاد!! لـو أن هـذا هـو مسـتوى (الموسـاد) فـإن عبد الناصر سيقضي هذا الصيف حتمًا على شواطئ إسرائيل.

احتقـن وجـه (ديفيد أهـاروني) وهم بالحديـث لولا أن أوقفته (راشيل موردخاي) بإشارة حادة من يدها ثم وجهت الحديث لـ(شهاب) بخبث بالغ:

- وهل تتمنى ذلك؟

نظـر إليهـا (شـهاب) في حـين اندفـع (راؤول كوهـين) يقول:

- كلا بالتأكيـد إنـه يسـعى للانتقام من عبـد الناصر كما ذكـرت لـكِ في تقريـري فلقد دمر حياتـه وفقد أبويـه وأخيه الوحيد بسـببه حين أمم جميع ممتلكاتهم و...قاطعه (شـهاب) بثورة غضب مصطنعة:

- أي تأميم أيها الأحمق!! إنها سرقة..سرقة بالإكراه.

ويبـدو أن كلماته قد أتـت مفعولها وظهـر ذلك بوضوح على وجه (راشيل موردخاي) حين استطردت بمكر:

- إذن فعدونـا واحد ولن تمانـع في التعاون معنا للقضاء مـ.. قاطعها بسخرية:

- قطعًـا سـأمانع فأنتـم مجموعة مـن الهواة وسـتوقع بنا المخابرات المصرية لا محالة.

أراد كلًا مـن (كوهـين) و(أهـاروني) التحـدث في وقت واحـد غير أنهـا ألجمتهـم بإشـارة صارمـة من يدهـا فتصنع (شهاب) الاهتمام واستطرد وهو ينظر إليها بسخرية:

- يبدو أن السيدة الجميلة ذات شأن.

عربـدت الغيرة في كل كيان (ديفيد أهاروني) بعد كلمات (شهاب) الأخيرة واندفع يصرخ:

- سأقتلك أيها الوغد أقسم على ذلك.

في حـين ارتسـمت على وجـه (راشـيل) الفاتن أبتسـامة إعجـاب واضحـة زادت مـن اشـتعال النـيران في (ديفيـد أهاروني) وهي تقول:

– هـل يسـمح لي (جيمـس بونـد) المـصري أن يسـمع عرضي.

ابتسم شهاب بسخرية واستطرد بلامبالاة:

– حسنًا يا سيدتي هاتِ ما عندك.

ثـم دس المسـدس في ملابسـه وجلس على أحـد المقاعد فارتفعا حاجباه الجميلين وقالت بدهشة:

– هكذا بكل بسـاطة ألا تخشـى أن يقتحم رجالنا المكان ويطلقون عليك الرصاص؟

ضحك (شهاب) بصوت عالي واستطرد ساخرًا:

– لو أنهم على شـاكلة (شـاؤول) و(ليفي) وهذا الثالث الذي لا أعرف اسـمه والممددين فاقدي الوعي في الفندق أو كهؤلاء الهواة ثم أشـار للرجلين الفاقـدي الوعي أمامهم فلا داعي للقلق أبداً ياسيدتي.

أطـل الإعجـاب مـن تلـك الإبتسـامة التـي أرتسـمت عـلى وجه (راشـيل موردخـاي) الفاتن في حـين احتقن وجه (ديفيـد أهـاروني) وضغـط هـلى أسـنانه مـن شـدة الغيظ في

الوقـت الذي ظل (كوهين) يراقب الموقف كالثعلب العجوز واستطردت(راشيل موردخاي):

- حسـنًا (ياجيمـس بونـد) أعترف أنك أثـرت إعجابي ونادرًا ما يحدث ذلك وإليك عرضي.

تصنع شـهاب اللامبالاة وهو يسـتمع لـ(راشـيل) التي استطردت:

- نريـد تصفيـة هـذا النازي الحقـير (هانز مولـر) رئيس فريق العلماء الألمان المشرفين على برنامج صواريخ عبد الناصر البعيـدة المـدى (القاهـر والظافر) فلو حدث ذلك سـيتوقف البرنامج فورًا ويفشل بكل تأكيد.

رفع (شهاب) أحدا حاجبيه واستطرد بتشكك:

- ولم هذه الثقة؟

استطردت (راشيل موردخاي):

- ماذا تقصد؟

(شـهاب): نعـم سـيتوقف البرنامج ولكن ماذا سـيمنع عبد الناصر من أن يستأنف العمل به بعد ذلك؟

خرج (كوهين) عن صمته قائلًا:

– ومن أين سيحصل على الخبرة الفنية بعد مغادرة الألمان مصر فور مقتل رئيس فريقهم؟

أطلق (ديفيد أهاروني) ضحة عالية ساخرة مستطردًا:

– ربـما سـينقب عبـد الناصر عنهـا في الصحـراء في أحد مقابرهم الفرعونية.

ضحك (شهاب) وأستطرد بسخرية لاذعة:

– بالتأكيد سيفعل هذا لو أنه بمثل غبائك.

استشـاط (ديفيـد أهـاروني) غضبًا واحتقـن وجه للمرة العاشرة هذا المسـاء وأراد أن يتحدث لولا أن رمقته (راشـيل موردخـاي) بنظرة نارية ألجمته.. ألجمته تمامًا.. واسـتطردت موجهه حديثها لـ(شهاب):

– هل تقصد أنه سيستعين بخبرات أخرى أو أنه سيرسل بعثات مصرية للخارج لنقل الخبرة.

(شـهاب): بالتأكيد سيفعل والحل الوحيد لقطع الطريق عليه بشكل نهائي هو أن يتأكد من فشل البرنامج.

بـدا الاهتمام واضحًا عـلى وجه (راشـيل موردخاي) في حين أخذ (راؤول كوهين) ينصت باهتمام بالغ كالثعلب.

واستطردت (راشيل):

- وكيف ذلك؟

وهنـا اسـتعد (شـهاب) ليضـع لمسـاته الأخـيرة لإقناع (راشيل موردخاي) بما خطط له واستطرد برزانة:

- لن يتوقف عبد الناصر عن الاستعراض والتباهي بتلك الصواريخ، فلو نجحنا في نسـفها بعـد إطلاقها بعدة ثواني في أحد جولاته الاسـتعراضية سـيتأكد الجميع أن ثمة خطأ فني تسـبب في ذلك وسـترغم الفضيحة المدوية عبـد الناصر على التخلي عن البرنامج وسـيتولى السوڤيت أقناعه بعدم جدواها حتـى لاينجح وينافس بصواريخه (القاهر والظافر) صواريخ (سكود) السوڤيتية في أفريقيا والعالم العربي.

حدقت (راشـيل موردخاي) في (شـهاب) وارتسم على وجههـا الجميـل الأعجـاب والانبهـار في حـدوده القصوى وهي تستطرد:

- رائع بل أكثر من رائع ولو أنك معنا في الموساد لكان...

قاطعها (ديفيد أهاروني) وسياط الغيرة تلهب قلبه:

ـ يا للسـخرية!! وغد مصري يخطط للموساد ويسدي له النصائح يا للعار!!.

ابتسم (شـهاب) بسـخريته المعهودة واسـتطرد بسخرية لاذعة:

– مـادام في (الموسـاد) حمقـى كهذا الرجل فلن أسـتطيع الانضمام إليه في الوقت الراهن.

لم يسـتطع (ديفيد أهـاروني) أن يتمالـك أعصابه أكثر من ذلـك فلقد تلقى اليوم من السـخرية مالم يتلقـاه أبدًا في حياته وبشـكل مباغت انقض على (شهاب) وسـدد له لكمة عنيفة في وجهـه أو هكـذا أراد ولكـن (شـهاب) كان لـه رأيًـا آخر عـبر عنه بسرعـة مذهلة حـين مـال بجزعه برشـاقة كلاعبي الملاكمـة المحترفـين متفاديًـا لكمـة (ديفيد) وسـدد له بعنف لكمة مسـتقيمة من لكمات الكاراتية بأضلعه العائمة وبراحة يـده اليمنى هوى على وجه في ضربة كالزلزال أسـقطته أرضًا أسـفل قدمي (راشـيل مودرخـاي) التي نظرت إليـة بازدراء واحتقار بالغين واستطردت:

– أنت عار (الموسـاد) بلا مُنـازع أيها الأبله لقد فعل بك كل ذلك حتى دون أن ينهض من مقعده.

كان (شـهاب) قد اسـتل مسدسـه وصوبه تجـاه (ديفيد) مستطردًا:

– يكفـي هـذا أيها الأحمـق فلم يعد عنـدي الصبر الكافي لتحملك بعد الآن.

ولو سألوا (ديفيد أهاروني) عن أمنيته الوحيدة قبل الموت في تلك اللحظات لأقسم أنها قتل ذلك الرجل قتل (شهاب) الـذي أهانه أمام فاتنته ومعشـوقته وبدا يرمقـه بنظرات نارية طلت منها كل معاني الغل والكراهية.

وفجأة نطق ثعلب الموساد العجوز قائلًا بحماس بالغ:

– لقد وجدتها يا (راشيل).

التفتـت إليه بدهشـة وهمـت بالحديث غير أنـه لم يمهلها واستطرد بحماس أكبر:

– سـننتج فيلمًا سـينيمائيًّا عـن إنجازات ثـورة ٢٣ يوليو يكون بطله (شـهاب) ولن نجد صعوبة في ذلك فلقد ذكرت في تقريـري أن أهم مخرجي السـينيما المصرية عرض عليه دور

البطولة في أحدث أفلامه حين رآه في حفلة (ألبرت فردريك) وسيلقي الفيلم الضوء على تحديات الثورة وإنجازاتها وسنحرص على أن ينجح الفيلم نجاحًا باهرًا بتوفير كل الإماكانات له وبالطبع وبعد نجاح الفيلم سيكون (شهاب) من أهم المشاركين في الحفل الغنائي الساهر بالقاعدة الجوية (ببلبيس) وساعتها سينفذ شهاب الخطة وسيقوم بوضع شرائط لاصقة ناسفة على صواريخ القاهر والظافر الموجودة بالقاعدة وتلك الشرائط هي أحدث ما أنتجته معامل وكالة المخابرات المركزيةالأمريكية (CIA) وأثناء أستعراض عبد الناصر لهذه الصواريخ على الهواء مباشرة على مرأى ومسمع من العالم ستنفجر بعد عدة ثواني من إطلاقها وستكون فضيحة مدوية وسيصاب عبد الناصر بخيبة أمل كبيرة ويتخلى عن هذا البرنامج هذا إذا ما تدخل السوفيت وجعلوا عبد الناصر يتراجع عن الحرب أما إذا استمر في عناده وهذا ما أرجحه فسنكون وقتها في مأمن من تلك الصواريخ وللأبد بعد تأكد المصريين من فشلها وعدم جدواها عند محاولتهم استخدامها ضدنا.

ابتسـمت (راشـيل موردخـاي) بمكـر وهـي تنظـر لـ(كوهين) واستطردت:

- صدق من أطلق عليك ثعلب الموساد يا (كوهين).

ثـم نظـرت بشـغف واضـح لـ(شـهاب) واسـتطردت بابتسامة أودعت فيها كل جاذبيتها كالمعتاد:

- هـل تقبـل عـرض محترفي (الموسـاد) هـذ المـرة مقابل العشرة ملايين دولار وفوقهم الانتقام من عبد الناصر؟

كان (شـهاب) هـو الوحيـد في هذا العصر الـذي يتمني أن يعـرض عليـه عرض كهذا فأخـيرًا وجد الحل لمنع نكسـه ٥ يونيـو عام ٦٧ ووقف مجازر سـيناء التـي حولت رمالها إلى رمـال دامية بعد أن تشربت بدماء الأسرى المصريين وبمنتهي الهدوء والثبات استطرد:

- نعم أوافق.

فاندفعت (راشيل موردخاي) تهتف بحماس:

- إذن أنـت منـذ الان أهم عميل لدى الـ(الموسـاد) منذ نشأته أنت منذ الآن العميل رقم 007.

١٠- الخدعـــة..

- لست بمثل غباءك يا (ديفيد).

نطقت فاتنة الموساد (راشيل موردخاي) تلك الجملة وقد ارتسمت على وجهها أبتسامة ساخرة وهي تتحدث لـ(ديفيد أهـاروني) في حين بـدا (راؤول كوهين) كعادتـه ينصت أكثر مما يتحدث ويراقب الموقف كالثعلب في حين استطرد (ديفيد أهاروني) بعصبية:

- ولم إذن تركتيه يذهب مادمت تشكين فيه؟

صرخت (راشيل) في وجهه بعصبية:

- كـي أقطع الشـك باليقـين أيها الأحمق فلـولا رعونتك وتجاهلـك للخطـة التـي وضعتها لـكان كل شيء الآن يجري على مايرام.

احتقن وجه (ديفيد) واستطرد بارتباك:

- أعدك يا (راشيل) أنني سأنفذ كل تعليماتك بدقة تلك المرة.

أشـاحت بوجهها الجميـل عنـه ثـم وجهـت حديثها لـ(كوهين) باهتمام:

– رجل بتلك القدرات يا (كوهين) سيكون من الغباء أن نخـسره كما أنه ليس لدينا الوقت الكافي لجمع المعلومات عنه والتأكد من حقيقة أمره فالوقت يمضي في غير صالحنا.

قال (راؤول كوهين) بهدوء:

– هل لديك خطة يا(راشيل)؟

استطردت (راشيل):

– إن لم يكن لدينا الوقت الكافي لمعرفة هوية هذا الشيطان المـصري فليس أقل من التأكـد من صدقه في التعاون معنا من عدمه.

ثم التفتت لـ(ديفيد أهاروني) واستطردت بحنق:

– لدي خطة محكمة للتأكد من ذلك وأخشى أن يفسدها (ديفيد) كعادته.

انطلق (ديفيد أهاروني) يقول بحماس بالغ:

– لقد وعدتك يا (راشـيل) وأقسـم بحائـط المبكى أنني لن أخذلك.

ابتسمت راشيل بسخرية واستطردت:

- وأنا أيضًا أعدك يا (ديفيد) لو كان هذا المصري يخدعنا سأتركه لك كي تنتقم مما فعله بك وبرجالك.

احتقن وجه (ديفيد أهاروني) ونظر إليه (كوهين) بشماتة دون أن يعلق في حين استطرد هو مغمغمًا:

- سـاعتها سـيكون انتقـام يعجـز الشـيطان نفسـه عـن تخيله.

سـمع (شـهاب) عـدة طرقـات هادئـة على بـاب غرفته بالفنـدق فنهض بسرعـة وتطلع من ثقب البـاب المزود بتلك العدسـة المعرفـة بـ(العـين السـحرية) فوجـد أحـد موظفـي خدمـة الغرف يدفع عربة سرفيس أمامـه فقبض على المقبض فأنتفض جسـده بعنف بعـد أن صعقه تيار كهربي قام أحدهم بتوصيلـه بمقبض الباب الذي انفتح فجأة وصدم (شـهاب) بعنف فأسقطه أرضًا من شدة الارتطام وفي لمح البصر أقتحم الغرفـة ثلاث رجال ضخام البنية ووجه أحدهم لـ(شـهاب) رزاز مخـدر قوي ملأ به وجهه فشعر(شـهاب) بـدوار عنيف

واضطـراب في الرؤيـة وبالضبـاب الكثيـف يزحـف ليغـزو عقلـه ومن ثم ذهب في حالة من فقدان الوعي تحت تأثير هذا المخـدر القوي وعـلى الفور حمـل المهاجمين الثلاثة (شـهاب) وانطلقوا به وغادروا الفندق ولم يمضي كثيرًا من الوقت حتى استرد (شـهاب) وعيه ووجد نفسه يجلس على أحد الكراسي في غرفة تمتلئ بالأثاث الفاخر وفي نهايتها مكتب فخم وخلفه وعـلى الحائط علقت بعناية صـورة ضخمة للرئيس جمال عبد النـاصر بجانب علم مصر في السـتينات وكانـت أغنية وطنية لأم كلثـوم تنطلـق من إذاعـة صوت العرب مـن أحد أجهزة الراديـو فوق المكتب تطلع شـهاب حوله فوجد الغرفة خالية تمامًـا إلا منه وفجـأة دخل الغرفة ضابط يرتـدي زي القوات المسلحة المصرية وكان برتبة عقيد وحوله مجموعة من الرجال ضخـام البنية وتبدو ملامحهم المصرية واضحة وبشـدة كما هو الحال مع هذا الضابط الذي ما أن اقترب من (شـهاب) حتى رمقـه بنظرة انطلقت منها الشرر وفجـأة صفعة بعنف بحيث تركـت أصابعه آثارهـا بوضوح على وجهه ثـم بصق في وجه باحتقار بالغ وهو يقول:

– لقد اكتشـفنا أمـرك منذ وصولك لباريـس أيها الخائن وليس لدي الوقت الكافي كي أضيعه مع حقير مثلك.

ثم أخذ ينفث دخان سـيجارته المصريـة الصنع في الهواء مستطردًا بشراسة:

– أخـبرني أيها المجرم عن المكان الذي قابلت فيه ضابطة الموساد (راشـيل موردخاي) و(ديفيد أهاروني) أننا نعلم كل شيء ثـم أخـرج مـن جيـب بذته العسـكرية عدة صـور أخذ يستعرضها كانت أول صورة لـ(ألبرت فريدريك) وهو محاط بمجموعـة من جنـود الشرطة المصرية وكانت برفقته (سـارة وليم) وكان يبدو عليهما الذعر والخوف.

كان (شـهاب) مقيد اليدين والقدمين على أحد الكراسي وقد تدافعت الأسئلة برأسة بشكل محموم ماذا سأفعل؟ وهل سـتكون تلـك نهايته في هـذا العـصر؟ ودون أن يحقق هدفه؟ ثـم أخـرج الضابط عدة صـورة أخـرى لــ(راؤول كوهين) و(راشيل موردخاي) و(ديفيد أهاروني) عقب عليها بقوله:

– أليـس هؤلاء هـم ضباط الموسـاد الذيـن قابلتهم أيها الخائـن؟ ومع صـورة (ديفيد أهـاروني) التـي أخرجها تبدل

الموقف.. تبـدل تمامًا.. ولمعت عينا شـهاب على نحو غامض في حين صرخ الضابط المصري في وجهه بعنف:

- تكلم أيها الحقير وإلا أطلقت الرصاص على رأسك ثم استل مسدسه وألصقه برأس (شهاب) مستطردًا:

- أنت عار على كل مصري أنت لا تسـتحق أن تنتسـب للزعيم جمال عبد الناصر.

ثم سـحب إبرة الأمان بمسدسـه فرفع (شـهاب) وجهه ونظر إليه قائلًا بغضب جارف:

- فلتذهب أنت وزعيمك إلى الجحيم أيها الوغد.

ثـم بصق في وجهه ولكـن المفاجـأة أن الضابط المصري تراجع ومسح وجهه بهدوء وابتسم هو ورجاله ثم ذهب نحو باب الغرفة وفتحه وكانت المفاجأة الأكبر حين دلفت حسناء الموسـاد (راشـيل موردخـاي) والثعلـب العجـوز (راؤول كوهـين) و(ديفيد أهـاروني) الـذي أخذ يضغط على أسـنانه من شـدة الغيـظ فلقـد كان يمني نفسـه بانتقام يشـفى غليله مـن (شـهاب) فلقد كان الأمـر كله خدعة.. خدعة لكشـف حقيقتـه وبالرغم مـن الضغط النفسي الرهيـب الذي تعرض

لـه (شـهاب) وبرغـم أنـه لم يلمح صـورة (أهاروني) سـوى لعدة ثواني ألا أنه أكتشـف بدقة ملاحظة يُحسد عليها أن تلك الصورة حديثة بل ومنذ سـاعتين على الأكثر وهو ما يؤكد أن الأمر كله خدعة فلقد لاحظ (شـهاب) وجود إحمرار أسـفل أنـف (أهـاروني) ناتج عن لكمته التي سـددها له حين هاجمه أمام (راشـيل موردخاي) و(راؤول كوهين) في فيلا الموسـاد بضاحيـة باريـس أو المكان (C) اقتربت راشـيل من شـهاب وقد أرتسـمت على وجهها الفاتن أبتسـامة من أروع ماتكون وعلـت ملامحها صارخة الجمال أعجاب بدا شـديد الوضوح وهي تقول:

– سأدعوك للعشاء الليلة ونحظى بأمسية رائعة من ليالي باريـس الحالمة ثم أخرجت منديلهـا المحمل بعطرها الخلاب ومسـحت به وجـه (شـهاب) فعلت ذلـك برقة بالغـة وكاد (أهاروني) أن يفقد وعيه من شـدة الغيظ ولم يكن ينقصه أبدًا شـماته الثعلـب (كوهين) حين ارتسـمت على وجه ابتسـامته الخبيثة وهو يقول:

– لم أرى راشيل أبدًا في حياتي بتلك الرومانسية.

نظر (شهاب) إليها وقال بلامبالاة ألهبت إعجابها بعد أن قاموا بحل قيوده:

- ليـس قبـل أن... ثم بـتر عبارته فجـأة وركل الضابط المـصري المزيف ركلة مزلزلة أسـتقرت في بطنـه وأطاحت به بعيـدا عدة أمتار ليعـود ويكمل عبارتـه....أودع ضابط عبد الناصر.

١١ـ حسناء (الموساد)..

- أتعلم أنك أكثر من قابلتهم في حياتي إثارة للإعجاب؟

وجهت فاتنة الموساد (راشيل موردخاي) تلك العبارة لـ(شهاب) الذي بدا جامد الملامح برغم كل الأجواء الرومانسية التي أحاطت به فضوء الشموع الهادئ والموسيقة الناعمة التي لفت المكان وتلك المنضدة المنعزلة بأحد كازينوهات برج إيفل وهذا الجمال المستفز لـ(راشيل موردخاي) إلا أن (شهاب) لم يكن يرى سوي دبابات إسرائيل وهي تسحل أجساد الأسرى المصريين فوق رمال سيناء ولم يكن يسمع سوى صرخاتهم تدوي في أعماقه لكنه لم يستسلم لمشاعره وبادرها بسخرية:

- يبدو إنك لم تري الكثير إذن.

استطرد (راشيل) بابتسامة ساحرة:

- بالعكس لقد قابلت في حياتي من الرجال ما أعجز عن حصرهم أو حتى تذكر ملامحهم وقعوا جميعًا في أسر جمالي غير أنك الوحيد الذي نجا من ذلك.

ابتسم (شهاب) بمزيد من السخرية:

- ومن قال ذلك؟

رفعت حاجبيها الجميلين بدلال بالغ وقالت:

- أيعني ذلك أنك وقعت أيضًا في الأسر.

ضحك (شهاب) مستطردًا بسخرية لاذعة:

- أقصـد من قال أنهم رجـال؟ الرجل الحقيقي هو الذي يسـتطيع التحكم في مشـاعره ولايجعلها تتحكم فيه وتسـيطر عليه.

اكتسـت ملامحهـا ببعـض الضيق فسـارعت عـلى الفور بالاستعانة بصديقتها الحميمة وأخذت تنفث دخانها في الهواء بعصبية فاستطرد (شهاب) بهدوء:

- إنكِ وكما يبدو تعشقين السيطرة على الآخرين والتحكم بهم ولما كانوا جميعهـم لديهم هدف واحد يلهثون وراءه فلقد وقعوا وكما قلت أنت في أسره أما أنا وببسـاطة شـديدة فهدفي أبعد مايكون عن ذلك.

بادرته قائلة وقد بدأت أبتسامتها تعود لها بالتدريج:

- وما هو هدف جيمس بوند المصري؟

ولم تكد تنتهي حتى بادرها بسرعة وقد لمعت عيناه ببريق غامض وهو يستطرد بصرامة:

- إنه الانتقام.

تراقصت على وجهها ابتسامة ماكرة وهي تقول:

- هل تكره عبد الناصر لهذا الحد؟

دوت الإجابة في أعماقه وترددت إلى ما لا نهاية:

- لا وقـت للكراهيـة أيتها المجرمـة كل الوقت للانتقام منكم أيتها الحقيرة.

غير أن تلك الإجابة ظلت حبيسـة أعماقة وهو يسـتطرد بغضب عارم:

- لن تستطيعي تخيل مقدار تلك الكراهية.

استطردت (راشيل) بحماس:

- رائع.

ثم تراقصت فوق شـفتيها ابتسامة أطلت منها كل غواية الأرض وهي تقول:

- وبعد الانتقام ألا مجال للحب؟

قالـت ذلـك وهي تداعـب وجهه بـوردة حمـراء أخذتها مـن فوق المنضـدة لتعـود سـخريته المعهودة تطل مـن جديد من خلال ابتسـامته الجذابة وهو يلتقـط منها الوردة وينهض بغتـة وبسرعـة مذهلة ينزع شـارب النادل وشـعره المسـتعار والـذي كان قد اقترب منهم ليضع زجاجة الشـمبانيا وبعض الكؤوس ولم يسـتطع الأخير فعـل أي شيء فلقد تفاجئ تمامًا بالسرعـة المذهلـة التـي تحـرك بها (شـهاب) في حـين عقدت (راشـيل) حاجبيها الرفيعان بقوة واكتست ملامحها بالسخط والغضب وهي ترمق (ديفيد أهاروني) أو النادل المزيف بنظرة نارية وقد وقف أمام المنضدة وأثار المفاجأة لازالت بادية على وجهه في حين وضع (شهاب) الوردة الحمراء بين أحدى أذنه وجانب رأسـه وهو يربت على كتفه بسـخرية واضحة ووجه حديثه لـ(راشيل) قبل أن ينصرف:

– شـكرًا لك ياسـيدتي على تلك الأمسـية الرائعة والآن سأتركك مع أحد أسراكي.

أخذت راشيل تتابع (شهاب) بإعجاب بالغ.. بإعجاب لأول مـرة تشـعر به تجاه رجل وهو يتحرك بخطوات رشـيقة

باتجـاه أحد مصاعد الكازينو وقد دلف إليه وغاب عن نظرها وظلـت للحظـات بعـد أنصرافه صامتـه لاتحرك سـاكنًا كان (ديفيـد أهـاروني) أثنـاء ذلك قد جلس مكان شـهاب ووجه حديثه إليها بارتباك بالغ:

– راشيل إنني...غير أن صفعة قوية على وجهه من كفها الرقيق قد بتر عبارته فجأة ولفت انتباه جميع رواد الكازينو ثم تركته واتجهـت لإحدى شرفات برج إيفل وهـو يتابعها بذل وانكسار واضحين وقد أخذت تتطلع للمنظر الرائع لباريس في المساء من أعلى برجها الشهير وهي تغمغم:

– إذن لاسبيل للسيطرة عليك أبدًا أيها الوغد المصري.

ثم صمتت للحظات قبل أن تغمغم:

– فقـط رغبتـك في الانتقـام هـي من تحركك و(راشـيل موردخـاي) بكل جـبروت الفتنة والجمال لديهـا لا تعني لك شيء.

كانت راشـيل موردخاي محقة تمامًـا فيما قالته لتوها، نعم الانتقـام هو من يحرك (شـهاب) ولكن الانتقـام من إسرائيل وليس من جمال عبد الناصر كما نجح شهاب في إقناعها.

١٢- سينيما الجواسيس..

انطلـق ضابـط مـصري برتبة رائـد بالزي المميز لسـلاح الصاعقة المصرية بقامته الممشـوقة وجسـده الرياضي يركض وبيـده إحدى بنادق الـ(كلاشـنكوف)[١] الروسـية الشـهيرة محاولًا الفرار من إحدى عربات الجيب العسكرية الأسرائيلية والتـي أخذت تطـارده بإصرار في حين أخـذت الرصاصات تنهمـر من حوله بكثافة وظل الضابـط المصري يراوغ ويناور حتـى قفـز بداخـل أحد الخنـادق فترجـل الجنود مـن الجيب الإسرائيلية وكانو ثلاثة واحتموا خلف أحد المرتفعات الرملية وأخذوا في إطلاق النار باتجاه ضابط الصاعقة المصري والذي أخذ يتبادل معهم إطلاق النار الذي اسـتمر لعدة دقائق حتى نفذت ذخيرته وشعر الاسرائيليون بذلك فهتف أحدهم عبر مكبرات الصوت بالعربية قائلًا:

- استسلم أيها المصري لا جدوى من المقاومة.

(١) بندقية آلية ابتكرها الروسي ميخائيل كلاشـنكوف عام ١٩٤٧ ويرمز لها بـ(KA -47).

وظل يكرر تلـك الجملة حتى خرج الضابط من الخندق رافعًا يده لأعلى وظل يتقدم باتجاههم في ثبات وهدوء وسـط نظـرات الغل والكراهية التـي رمقه بهـا الإسرائيليون إلا أن أصبحت المسـافة بينـه وبينهم أقل من مترين تقريبًا وبحركة مباغتـة فتح سـترته وكشـف عـن حزامًـا ناسـفًا كان يرتديه أسفلها وقال بسخرية:

- أنتم من يجب أن تستسـلموا أيها الأوغاد وإلا نسفتكم بلاترد.

بدا الارتبـاك واضحًا على الإسرائيليـين الثلاثة من تلك المفاجأة في حين هتف أحدهم:

- ولكنك لن تنجو أيضا أيها المجنون.

استطرد الضابط المصري ساخرًا:

- أشكرك على اهتمامك بي أيها الوغد ولكن ثلاثة مقابل واحد تبدو صفقة جيدة بالنسبة لي.

استطرد أحدهم بعصبية:

- إنك لن تجرؤ على فعل ذلك، إنك تدعي الشجاعة كي تنجو من الأسر.

ابتسم الضابط المصري واستطرد بسخرية:

- فلنقطع الشك باليقين إذن أيها الأوغاد.

ثـم رفـع زر التفجـير لأعـلى أمـام أعينهـم واسـتطرد بصرامة:

- سـأقوم بالعد حتى ثلاثة وإذا لم تلقوا بأسـلحتكم على الأرض سأضغط زر التفجير في الحال.

تملـك الذعر مـن الإسرائيليين ولكنهم تبادلـوا فيما بينهم نظـرات غامضـة ألقـوا بعدها أسـلحتهم الواحـد تلو الآخر حتـى جاء الـدور على الأخير ورمـى بندقيته بشـكل مباغت وعنيـف في وجـه الضابـط المـصري وهجم ثلاثتهـم عليه في وقت واحد ولكنه وبسرعة فائقة اسـتوعب الموقف وتحركت أطرافـه الأربعـة في آنٍ واحـد بتناغم مذهل بحيـث اندفعت قدمـه اليمنـى وغاصـت بعنـف مسـتقرة في بطـن مـن قذف بالبندقيـه من لحظات فأسـقطته أرضًا في نفـس الوقت الذي ألتقطـت فيه يداه القويتان البندقية وهوى بها على رأس الثاني في حـين ركلت يسراه صدر الثالث فسـقط على ظهره وهتف

الضابط المصري بسـخرية بالغة وهو يرفع بندقية الـ(عوزي) الإسرائيلية أمام وجهه:

- شكرًا لك أيها الوغد على تلك الهدية.

تملـك الرعب مـن الجنـود الاسرائيليـين الثلاثـة وجثوا عـلى ركبهم ووضعوا أيديهم فوق رؤوسـهم وأطل الفزع من أعينهم وقال من يتحدث العربية منهم بصوت متحشرج:

- إننا أسرى حرب ياسـيادة الرائـد ونطالبك بأن تطبيق علينًا قوانين جنيف المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب.

ابتسـم ضابـط الصاعقـة المـصري بسـخرية وصرخ في وجوههم بقسوة جمدت الدماء في عروقهم حين قال:

- بل سـأطبقك عليكم قوانينكم أنتم التي مارسـتموها على الأسرى المصريين في حرب عام ٥٦.

ولم يكد ينتهى من جملته حتى صرخ الاسرائيلي:

- الرحمة ياسيدي الرحمة.

نظـر الضابـط المـصري إليهـم بـازدراء واحتقـار بالغين مستطردًا:

- نحن لانقتل العزل أيها الجبناء.

ثم قيدهم وألقى بهم في الجيب وانطلق بها كالسهم يشق الصحراء وفجأة دوت في الأجواء تلك الجملة الشهيرة:

- ستوب.

والتـي هتـف بهـا المخرج(فريـد وصفـي) أشـهر مخرج سـينيمائي في مصر من خلال أحد مكـبرات الصوت بحماس شديد واستطرد بابتسامة عريضة علت وجهه:

- برافـو يا أسـتاذ (شـهاب) أداء أكثر من رائع سـتكون قنبلة الموسم الفني لهذا العام بلاشك.

نطق (فريـد وصفي) تلك الجملة من أسـفل تلك المظلة الضخمـة التي أحتمى هو وفريق عمـل الفيلم بها من حرارة صحـراء الجيـزة الحارقة في هـذ الوقت من شـهر يونيو وكان يجلـس بجواره منتـج الفيلم (ألبرت فردريـك) وبطلة الفيلم فاتنـة السـينيما المصرية النجمـة (نوال زهـدي) ومجموعة من الممثلـين والصحفيـين الذين أخذوا يتابعوا (شـهاب) في زي ضابـط الصاعقة المصري بإعجاب كبير وهو ينزل من الجيب ويتقـدم نحوهم ويشـير إليهـم بالتحية وأتخذ مقعـدًا بجانب

المخرج في حين قال مصمم المعارك السينيمائية الشهير (مراد نوفل) للمخرج (فريد وصفي) بحماس واضح:

- لقد عملت مع أشهر نجوم السينيما المصرية الذين لمعوا في أدوار الأكشن كفريد شوقي ورشدي أباظة وأحمد رمزي وغيرهم وفي حياتي كلها لم أرى مثل الأستاذ (شهاب) لقد أستحوذ على إعجابكم منذ قليل بأداؤه القتالي الرائع ولكن الذي لايعرفه أحد أنني لم ألقنه أيًا من تلك الأساليب القتالية التي بهركم بها لقد أتي بها من تلقاء نفسه كما أن جسده الرياضي المفتول العضلات يتمتع في نفس الوقت بمرونة مذهلة ثم نظر لشهاب مستطردًا باعجاب شديد:

- كيف تقوم بذلك يا أستاذ (شهاب)؟

نظر إليه (شهاب) وقال بمكر:

- ولا تنسي أنني لاأستخدم (دوبلير) ليقوم بالمشاهد الخطرة بدلًا مني يا أستاذ (مراد).

أومأ الرجل برأسه بقوة وهم بالحديث غير أن أحد الصحفيين بادر (شهاب) وسأله عن سر لياقته البدنية وتلك

الفنـون القتالية التي يجيدها بشـكل مذهل ابتسـم (شـهاب) واستطرد بمكر:

- سـيبقى هذا الأمر سرًا حتى يظهر في السـينيما المصرية من يتفوق علي وساعتها سأفصح عن كل شيء.

علقت إحدى الصحفيات قائلة:

وهـل تتوقع أن تحتفظ بهذا السر لمدة طويلة قبل أن يظهر نجم أكشن جديد؟

استطرد شهاب ساخرًا:

- بل أعتقد أنني سأحتفظ به للأبد.

ضحك الجميع بعد جملته الأخيره وكانت (نوال زهدي) تتابع شـهاب باعجـاب واضـح ولاحظ (ألـبرت فردريك) ذلك فمال عليها وهمس في أذنيها:

- لانريد مشاكل مع (صبري نجم) ياعزيزتي.

نظرت إليه بابتسامة ذات مغزى وقالت بخبث:

- إنه إعجاب بريء يا (ألبرت).

قست ملامحه فجأة واستطرد ببرود:

- ولاحتى ذلك..عملنا قائم على الالتزام الحرفي بالتعليمات وألا فلن يكون هناك فرصة حتى لمجرد للندم.

أومأت برأسها إيجابًا وبدا عليها الارتباك والقلق واستطرد بصوت خافت:

- بالتأكيد يا (ألبرت) بالتأكيد.

ثم أشاح بوجهه عنها ببرود وخاطب المخرج قائلًا بحماس مصطنع:

- ما برنامج عمل الغد يا عبقري السينيما المصرية؟

ضحك (وصفي) وأجاب باهتمام:

- غدًا أهم وآخر مشهد في الفيلم مشهد من داخل السجن الحربي وبدا التباهي واضحًا في نبرة صوته وهو يستطرد:

- تلك الأماكن ياسادة لايستطيع مخرج في العالم وليس فقط في مصر أن يصور فيها ولكن علاقاتي المعروفة بالقيادة السياسية دومًا ما تفتح لي الأبواب المغلقة.

تصنع (ألبرت فردريك) الإعجاب وهو يقول:

- بالطبع فمع نجم الإخراج الأول في مصر والعالم العربي لن تقف في طريقنا أي عقبات.

بـدا (فريـد وصفي) مزهو بنفسـه في حين بدا (شـهاب) الـذي أخذ يتنـاول جرعة من المـاء المثلج ويجفـف عرقه بعد ذلك المشهد الحار في قلب الصحراء بدا مبتهجًا فهاهو يقترب مـن هدفـه أخيرًا في حين بـدت (نوال زهدي) متأثرة بشـكل كبـير بتهديد (ألـبرت) غير أنها لم تسـتطع أن تمنع نفسـها من الإعجاب بـ(شـهاب) الذي أخذت تنظر إليه من طرفي خفي ولاحظ هـو ذلك غير أنه لم يكترث بذلـك..لم يكترث أبدًا.. غير أن قلـب بريء أخذ يتابعه بلهفة ويتألم في صمت ويتمنى المسـتحيل وقـد أغرورقت عينـاه الزرقاء بما يجيـش به صدره غـير أن منظـارًا شمسـيًّا داكنًا على وجـه (مارجريت ألبرت) قد أخفى وارءه ذلك كله وهي تجلس بجانب أبيها جاسـوس إسرائيـل (ألـبرت فردريك) وقـد تركت العنـان لقلبها يخفق كيف يشاء.

١٣ـ السجن الحربي..

- سأظل دومًا خادمك المطيع ياسيدي.

أنهـى العقيـد (حامد بدر) مدير السـجن الحـربي محادثته المليئـة بالتزلف والنفـاق مع أحد أعضاء مجلـس قيادة الثورة بتلـك الجملـة وكان الرجـل قـد طلب منـه أن يسـمح لأبن خالته المخرج السـينيمائي المعروف (فريـد وصفي) أن يصور أحد مشـاهد فيلمـه الجديد مـن داخل السـجن الحربي وعلى الفـور ضغط زرًا بجانبه فانطلقـت بعده مباشرة عدة طرقات عـلى باب المكتب أعقبها دخول ضابط شـاب برتبة رائد أدي التحية العسكرية بقوة قائلًا:

- أوامر سيادتك يا فندم.

كان (حامد بدر) رجل فظ بمعنى الكلمة ولم يسـمع عن اختراع اسـمه (اللياقة) فلقد احتفظ بسـاقيه ممددة على سطح المكتب ووضع أحداها فوق الأخرى بحيث بات حذاؤه تمامًا في مواجهة الضابط الشاب وقال بغطرسة:

- لدينا ضيوف سيأتون بعد ساعتين من الآن يا (عصام) سـترافقهم في جولـة داخل السـجن وحـذاري أن يتطرق إلى

مسـامعهم شيء عن المنطقة (ج)هتـف الرائد(عصام يونس) مدير مكتب (حامد بدر) بقوة:

- مفهوم يا فندم.

وأدى التحية العسـكرية لـ(حامد بدر) غير أنه لم يكترث بها، ولم يمضي كثيرًا من الوقت حتى هبطت مروحية عسكرية مصرية ونزل منها (شـهاب) والمخرج (فريد وصفي) وفريق عمل الفيلم وكان في أسـتقبالهما (حامد بدر) بملامحه القاسية وزيه الرسـمي الـذي يحمل رتبة عقيـد وبجانبـه مدير مكتبه الرائد (عصـام يونس) وبتزلف ونفـاق واضحين حيا (بدر) المخرج ومن معه وأكد له أنه أعطى تعليماته المشددة بالتعاون معهم وتلبية جميع مطالبهم ثم همس في أذن(فريد وصفي) بما يشبه التوسل:

- أرجـو يـا أسـتاذ (فريـد) أن تحمل إلى مسـامع سـيادة العضو أسمى معاني الحب والتقدير.

أومأ (فريد وصفي) إيجابًا وهو يقول:

- بالتأكيد يا سيادة العقيد لا تقلق من ذلك وقريبًا نهنئك بالترقية يا سيادة العميد.

تهللت أسـارير وجـه (بدر) واصطحبهـم لمكتبه المكيف وسط حرارة الصحراء اللافحة وقدم لهم المرطبات والمثلجات بحفاوة بالغة وجلس خلف مكتبه الذي تعلوه صورة الرئيس جمال عبد الناصر وأخذ يتفحص شـهاب وفريق عمل الفيلم بنظرات بوليسية محضة ثم استطرد موجهًا حديثه لفريد:

- إنني من أشد المعجبين بأفلامك يا أستاذ (فريد).

ثم أشار لشهاب مواصلًا حديثه:

- ولكننـي لم أرى هـذا الوجه الجديد من قبـل في أيًا من أفلامـك لقـد أخبرتنـي قبل لحظات أنـه بطل فيلمـك القادم أليس كذلك؟

رسـم (شـهاب) عـلى وجهه ابتسـامة مصطنعـة في حين استطرد (فريد) بثقة:

- إنـه قنبلـة الموسـم الفنـي لهـذا العـام وللعـشر سـنين القادمة.

أخـذ (حامـد بـدر) يومـأ برأسـه إيجابًـا وهـو يبتسـم مستطردًا:

- بالتأكيد مادام تنبأ به عبقري مثلك.

ثـم تحـدث لـ(عصـام) بغطرسـة واضحـة وقـد تبدلت ملامحه فجأة واكتست بالغلظة:

- سترافق السادة وتلبي كل مطالبهم مفهوم؟

استطرد (عصام) بقوة:

- مفهوم يا فندم.

بـدا المخرج (فريد وصفي) متحمسًـا للغايـة وهو يقول لـ(شهاب) بعد أن غادرا مكتب (حامد بدر):

- سيكون ذلك المشهد من أروع مشاهد الفيلم فالمحاكاة مهـما كانـت دقتهـا وبراعتها لن تصـل في النهاية لقـوة وتأثير الحقيقة.

قـال (شـهاب) متصنعًا الاهتـمام وهو يقلب بـصره فيما حوله:

- بالتأكيد يا أستاذ فريد.

كان السجن الحربي عبارة عن معتقل في جوف الصحراء الغربية على مسـاحة عدة أفدنة وكان شـديد الحراسة فبالرغم من الصعوبة الشـديدة لفرار أي مسـجون منه فالشمس قاتلة في النهـار والذئاب والضواري مفترسـات بالليل والصحراء

المترامية الأطراف تحيطه من كل اتجاه إلا أن إجراءات الحراسة تتسم بالشدة والصرامة مال (فريد وصفي) على مرافقهم الرائد(عصام) مستطردًا بخبث:

- أريد مشاهد واقعية ياسيادة الرائد أنا أعلم مايدور بداخل معتقل للجواسيس وأعداء الثورة ونريد من خلال تلك المشاهد بث الرعب في قلوب العملاء والخونة وإظهار مدى سيطرت النظام وقسوته في الدفاع عن ثورته ومكتسباتها حتى يفكر ألف مرة من تسول له نفسه خيانة الوطن والتجسس لصالح العدو.

وما أن أنتهى من كلامه حتى هتف أحد الجنود بقوة:

- أنت لاتعرف شيء الجحيم بعينه في المنطقة (ج) ولو أنك قد....ثم بتر عبارته فجأة على أثر لكمة قوية سددها له الرائد (عصام) في وجه مباشرةً وهو يصرخ قائلًا:

- اصمت أيها الحقير سأقوم بجلدك بنفسي حتى الموت.

وهم بركله إلا أن (شهاب) انتزعه من أمامه في حين هتف (فريد وصفي) بحدة:

- توقف عن تلك الهمجية يا سيادة الرائد.

ارتبـك عصـام وتوقف عـن مهاجمـة الجندي غـير أنه لم يتوقف عن نظرات التوعد التي أخذ يرمقه بها في حين اقترب (فريد) منه وربت على كتفه وقال وهو يبتسم بود:

- ما اسمك؟

رد الجندي بارتباك وهو ينظر لـ(عصام):

- سمير يا سيدي.

(فريد): من أين البلاد ياسمير.

(سمير): من البحيرة.

- أنت مجند أليس كذلك؟

أومـأ الجنـدي وهو يمسـح الدمـاء التي سـالت من فمه بغضب:

- نعم ياسيدي.

عاد (فريد) يسأل وكم تبقى من مدة خدمتك؟

الجندي: عامين كاملين.

استطرد (فريد) بخبث:

– سـأعقد معك اتفـاق يا (سـمير) إذا أخذتني للمنطقة (ج) سأسـقط عنـك تلـك المـدة وسـتذهب لبيتـك وتعيش حياتك المدنية.

هتف (عصام) بغضب:

– ولكـن يا أسـتاذ فريـد هذا أمـر لا.... قاطعـه (فريد) بحدة:

– لا تتدخل ياسيادة الرائد وإلا ستندم.

كان (عصـام) يعلم ما يتمتع بـه (فريد وصفي) من نفوذ فابتلع التهديد ولم يتفوه بكلمة في حين أخذ (شـهاب) يراقب مايحدث باهتمام بالغ وانشغل فريق العمل بتجهيز معداتهم في أنتظار إشـارة البدء في التصوير وجه الجندي حديثه لـ(فريد) بيأس واضح:

– لقـد أصبحـت منـذ أن أخبرتكـم عن المنطقـة (ج) في عداد الأموات سيقتلونني لامحالة.

خرج (شهاب) عن صمته وانعقدا حاجباه وهو يسأل:

– ولماذا خاطرت بحياتك وأخبرتنا عنها؟

استطردت (سمير) بمرارة وهو ينظر لـ(عصام):

– في بدايـة عمـلي بهـذا المكان اللعـين كنت أعتقـد أنني أخـدم وطنـي وأدافـع عنـه وأحميه مـن الجواسـيس والخونة وكنـت أقـوم بتعذيـب المعتقلـين دون ذرة ندم أو تـردد رغم بشاعة هذا التعذيب لأن (حامد بدر) وضباطه كانوا يؤكدون لنا أنهم خونة وجواسـيس ولابد من انتـزاع المعلومات منهم لحمايـة مصر حتى فوجئـت في يوم أن أخـي الوحيد المهندس (صفـوت) والـذي علمنـي الانتـماء وحـب الوطـن معتقـل بالمنطقـة (ج) كانـت الصدمـة مروعـة عندما شـاهدت أخي الأكبر ومثلي الأعـلى مقيد وأدوات التعذيب بيدي ومطلوب منـي تعذيبـه والتنكيل به، والسـبب أن مديـره في العمل أراد منه أن يوقع على محاضر اسـتلام لمنشآت حكومية غير مطابقة للمواصفات ولما رفض قام المدير الفاسد والذي تربطه علاقة قوية بـ(حامد بدر) بالزج بأخي في هذا الجحيم ثم نظر لعصام واغرورقت عيناه بالدموع وهو يتابع:

– لقـد قتله المجرمون من شـدة التعذيـب لقد كان أخي مريضًـا بالربـو قتله المجرمون أمام عيني ولم أسـتطع أن أفعل له شيئًا.

ثم انهار في البكاء فاندفع عصام يهتف:

- إنه يكذب فأخيه مرتشي و...قاطعه فريد بعنف:

- وهـل المرتشي يقتل تحت التعذيـب؟ أين التحقيقات؟ أيـن النيابـة؟ أيـن القضاء؟ هـل دوركم أن تصـدروا أحكام وتنفذوهـا؟ سـأصور كل مايجـري وأذهب بـه للرئيس جمال عبد الناصر شخصيًّا.

شـحب وجه (عصـام) فور سـماعه لذلـك في حين أخذ فريد يربت على كتف (سمير) قائلًا:

- لا تقلق يا (سـمير) سيأخذ القتلة جزاؤهم العادل أين هذا المكان اللعين؟

تمالك (سمير) نفسه وقال بصوت متحشرج:

- عـلى بعد ٥ كيلو مـتر من هنا وفي جـوف الجبل توجد المنطقـة (ج) ولا يعـرف أحـد بوجودها سـوى (حامد بدر) وبعض الضباط، ثم نظر لـ(عصام) واستطرد بتحدي:

- وعـلى رأسـهم الرائـد (عصام) مديـر مكتبـه، وكانوا يأخذوننـا إلى هناك معصُوبي الأعـين ويتم تهديدنا بالقتل إذا تحدثنا مع أحد عما نفعله أو نشاهده هناك.

استطرد (فريد) بحماس:

- إذن هيا بنا.

امتقـع وجه الرائـد (عصام) وبـات يحاكي وجـه الموتى واندفع يسأل بذعر:

- وهل سأذهب معكم؟

استطرد (شهاب) بسخرية:

- بالتأكيد أنت دليلنا في هذه الرحلة ياسيادة الرائد.

ارتفعـا حاجباه واتسـعت عيناه وأطل منهـما الذعر وهو يقول:

- لا لا أرجوكـم إن (حامد بدر) لن يتورع عن إطعامي للكلاب المسعورة بالمنطقة (ج) لو علم أنـ.... قاطعه (فريد) ببرود:

- سـنغادر بـك أو بدونك هـل تفضل أن يخـرج (حامد بـدر) ويـرى المروحية تنطلـق لمنطقته السرية وأنـت تلوح لها مودعًا؟

ارتعـب (عصـام) من مجرد تخيـل الفكرة وقفـز من فوره إلى المروحيـة التـي أقلعـت بالجميع متجه للجحيـم.. متجهة للمنطقة (ج).

١٤- منطقة الجحيم..

لم تمضي سـوى عدة دقائق حتـى هبطت المروحية وكانت المنطقة (ج) والتي يطلق عليها كل من يعرفها (منطقة الجحيم) عبارة عن قطعة منبسـطة من الصحراء القاحلة بمساحة ٣كم تقريبًـا تحيط بها مجموعـة من الجبال من عـدة جهات وتخفيها إلى حد كبير عن الأنظار وقد تم إحاطتها بالاسـلاك الشائكة وأبـراج المراقبـة وكان يوجـد باخلهـا صهريـج كبـير للمياه وجراج لعدة شاحنات وعربات جيب وعنابر للمساجين بلا مياه أو كهربـاء أو دورات مياه فقط زنازين مظلمة لايدخلها ضوء الشـمس يُكدسـوا فيها بالعشرات في مسـاحتها البالغة ٢مـتر مربع وعنابـر أخرى للجنـود وعلى العكـس من ذلك تمامًـا كان يوجد اسـتراحات مكيفة للضبـاط ملحق بهاغرف للتحقيق والاسـتجواب وأهم مايلفت النظـر بل يبث الذعر والرعـب في قلوب أعتى الرجـال هي تلك الحظيرة الضخمة لعـشرات الـكلاب الضاريـة والمفتوحـة مـن أعـلى والتي تم بنائها أمام عنابر السـجناء المكونة من طابق واحد ومن داخل

المروحية تحدث (سمير) بعد أن أستبدل ملابسه العسكرية بملابس مدنية بارتباك بالغ:

- أحذركم أيها السادة فما سترونه هنا هي البشاعة بعينها.

نظر إليه (شهاب) وبدا متحفزًا في حين تحدث (فريد) بتحدي بالغ:

- مهما كانت الظروف سأصور كل شيء وأبعث به للرئيس جمال عبد الناصر لوقف تلك الجرائم.

نظر إليه (عصام) وقد أطلت من عينيه كل معاني الخوف والقلق وهو ينزل من المروحية يتقدم الجميع إلى المنطقة (ج) أو منطقة الجحيم وعلى الفور برز ضابط برتبة نقيب أدى التحية العسكرية بقوة قائلًا:

- مر وقت طويل منذ أن شرفتنا آخر مرة بالزيارة يا سيادة الرائد.

خاطبه (عصام) ببرود:

- ماذا لديك اليوم يا (مراد).

أجابه بحماس:

- اليوم حافل ياسيادة الرائد فلقد أتت للتو وقبل مجيئكم بقليل مجموعة من الجواسيس وسيتم التعامل معهم الآن.

غمغم (سمير) بسخرية وهو ينظر لـ(شهاب) و(فريد):

- إذن لقد أتينا قبل بداية الحفل.

رمقه (عصام) بنظرة نارية عندما التقطت أذنه تلك العبارة رغم خفوتها ثم أشاح بوجهه عنه في سخط وأشار لـ(فريد وصفي) وشهاب ومن معهم من فريق العمل مستطردًا بضيق:

- الأستاذ (فريد وصفي) المخرج السينيمائي المعروف سيقوم بتصوير عدة مشاهد لفيلمه الجديد وعندي تعليمات مشددة بتلبية جميع مطالبهم من سيادة العقيد (حامد بدر) شخصيًّا.

اندفع النقيب (مراد) فور سماعه لاسم (حامد بدر) يردد بقوة وحماس:

- تمام يا فندم.

ثم تحركوا متوغلين في المنطقة (ج) ولم يبالغ (سمير) في حرف واحد قاله عن المنطقة (ج) فلقد كانت بحق الجحيم

بعينه، فأمام الجميع وعلى بعد عدة خطوات من عنابر السجناء أخذ النباح الوحشي لعشرات الكلاب المسعورة بتلك الحظيرة الضخمة والتي كانت عبارة عن قفص حديدي بمساحة ملعب كامل لكرة السلة يدوى في الأجواء ويتردد صدى صوته في سكون الصحراء المطبق بشكل يبعث في النفس على الرعب أخذ (مراد) يهتف عبر أحد مكبرات الصوت لمجموعة من الجنود أعلى عنبر المساجين ذو الطابق الواحد:

- ابدأ فور تلقي الإشارة.

ثم استطرد بحماس:

ـ هذا المشهد رائع يستحق التصوير.

وعلى الفور وبإشارة من (فريد) قام فريق التصوير بضبط كاميراتهم واستعدوا ثم هتف (مراد) بقوة عبر مكبر الصوت مرة أخرى:

- الآن.

وليته لم يفعل ففور انتهائه من كلمته الوحيدة قام الجنود بدفع وإلقاء مجموعة من المساجين من أعلى سطح العنبر

بضربهم بالهـراوات وكعوب البنادق الآلية ليسـقطوا مباشرة في حظيرة الكلاب المتوحشـة لتبدأ البشـاعة في أسوأ صورها فلقـد أخذت الكلاب المسـعورة والتي تـم تجويعها لعدة أيام تنهش أجسـاد هؤلاء المسـاكين الذيـن لم يسـتطيعوا الاحتماء بشيء وحاولوا دون جدوى تسـلق القفـص الحديدي ولكن كلاب جهنـم تلك تجمعت عليهم وأخذت تمزق أجسـادهم وتلتهم لحومهم وهو أحياء في وحشـية منقطعة النظير وماهي إلا دقائق معدودة حتى قضت عليهم جميعًا وسـط صرخاتهم وتوسـلاتهم الضائعة وأخـذت الكلاب في التهـام جثثهم في مشـهد يبعـث في النفس على الغثيان حتـى أن (فريد وصفي) ومعظـم فريـق عمله أخـذ في التقيـؤ بعنف من هـول مارأى وصرخ أحد المصورين:

- يا للبشاعة!! ماهذا الجحيم؟

أخذ (شـهاب) ينظر للمشـهد البشـع وقد عقد حاجبيه بشـدة وبدا متأثـرًا بقوة في حـين تحدث النقيب (مـراد) قائلًا بفخر:

– هؤلاء المجرمين من أعداء الثورة ممن يراسلون الجرائد الأجنبية ويتحدثون في الإذاعات المعادية ويدعون أنهم كتاب ومثقفون ولهم حق التعبير.

رمقه (سمير) بنظرة عدائية في حين بدا (شهاب) متماسكا رابط الجأش رغم بشـاعة مارأى وتحدث (فريد وصفي) وقد انتابه الذهول:

– لم أكن أتخيل أن يحدث في مصر تلك البشاعة أنها همجية و.. قاطعه (سمير) بارتباك وقلق وهمس في أذنه:

– حـذاري يا أسـتاذ (فريد) فجواسـيس (حامد بدر) في كل مكان من حولنا.

قـال ذلك وهو ينظـر لـ(عصام) بـازدراء واضح والذي أخذه بـدوره يبادله نظرات التهديـد والوعيد ثم تحركوا نحو غرف التعذيب ودخلو أحدها ليجدوا رجلًا معلقًا من رجليه وأسـفل منه أحد الكلاب المتوحشـة يقفز وينهش في جسـده والمسـكين يصرخ من شـدة الألم والرعب ويلـوح بيديه طلبًا للرحمة قائلًا:

– أقتلوني أرجوكم أقتلوني أرحموني من هذا الجحيم.

فما كان من الجندي الوحيد بتلك الغرفة إلا أن انهال عليه ضربًا بسوط كان في يده هاتفًا بقسوة بالغة:

- اصمت أيها الجاسـوس تتآمر على القائد والزعيم جمال عبد الناصر وتطلب الرحمة؟

وغرفة أخرى قيد فيها أحد المساجين من كلتا يديه وقام أحـد الجنود بنـزع أضافره بدم بـارد واحد تلو الآخر وسـط صرخات الألم والرعب وقد أخذ الجندي يهتف بتبلد:

- كيـف سـتكتب وتهاجـم الثـورة وزعيمهـا بعـد الآن أيهـا المجـرم؟ وأخـرى تمدد فيهـا أحد المسـاجين شـبه عاريًا فـوق منضـدة حديديـة ثـم قامـوا بتوصيـل التيـار الكهـربي بالمنضـدة ليُصعق وينتفض جسـده وترتفـع صرخاته وتوالى فتـح الزنازين زنزانـة تلو الأخرى كان مجموعهـم ٤٠ زنزانة كل زنزانـة بها أدواتها الخاصـة للتعذيب غير أن فنيو التصوير تركوا كاميراتهم وأصابتهم حالة من هيسـتيريا الرعب وأخذ بعضهـم في الـصراخ والنحيـب مـن شـدة الذعـر في حـين لم يحتمل (فريد وصفي) رؤية أكثر من ذلك وسـقط بينهم فاقد الوعي، فالتف حوله الجميع وأمر (مراد) الجنود بحمله ونقله لاستراحة الضباط وهو يغمغم بسخرية:

- يا لهؤلاء المدنيين الحمقى.

ومن داخل استراحة الضباط بالمنطقة (ج) وجه (عصام) حديثه لـ(شهاب) بخوف بالغ وبصوت أقرب للهمس:

- هـل تعلـم أن (حامد بدر) لن يـتردد لحظة في إطعامي لكلابه المسعورة لو علم أنني جئت بكم إلى هنا؟

هـم (شـهاب) بالتحـدث لـولا اندفـاع (سـمير) قائـلًا بسخط:

- كيف ذلك؟ ألم تخبره حتى الآن؟

احتقن وجه عصام ووجه لكمة تجاه (سمير) وهو يصرخ في وجهه:

- سـأمزقك بيـدي أيها الحقير أنت السـبب فيما نحن فيه الآن.

غير أن (سمير) تلافى لكمته على ساعده ودفعه في صدره بعنف مستطردًا:

أسـتطيع أن أبرحك ضربًا أيها الوغـد ولن يحميك زيك العسكري بعد الآن و... قاطعهما (شهاب) بصرامة:

- حماقتكم ستثير حولنا الشكوك وتعرضنا للخطر.

استطرد (عصام) بسخرية واضحة:

- الخطـر!! يالـك مـن متفائـل ألم ترى بعينـك ما يحدث هنـا؟ إن أحـدًا منا لـن يخرج على قيـد الحياة إذا علـم (حامد بـدر) بوجودنا وحتى لو أنني أخبرته فلن يرحمني، إن فرصتنا الوحيدة هي الهروب فورًا بتلك المروحية التي أتينا بها.

نظر (سمير) لـ(شهاب) واستطرد بقلق:

- معه حق فـ(حامد بدر) أبشـع مـا في هذا الجحيم ولن يتردد لحظة في إطعامنا لكلابه المسعورة.

استطرد (عصام) بتوتر:

- إذن هيا بنا.

قال (شـهاب) وهو يتلفت حوله وكأنه يبحث عن شيء ما بعينه:

- ليس قبل الحصول على بعض الأسـلحة فلو انكشـفنا يجب أن نقاتل حتى الموت.

استطرد (سمير) بحماس:

- إذن اتبعـوني فإننـي أعرف مخزن للسـلاح هنا في نهاية هذا الممر.

وأخذ يشـير لأحد الاتجاهات وانطلق ثلاثتهم إلى حيث أشار (سمير) وفجأة تسمر (عصام) في مكانه وجحظت عيناه وتدلى فكه السـفلي بذهول وهو يحدق بشيء ما بإحدى غرف الاسـتجواب من خلف هـذا الحائل الزجاجـي الضخم على أحـد جانبي الممر الطويـل وأخذ يغمغم وبات كمن سـيفقد عقله:

- إنـه أخي!! إنه أسـامة!! من فعل به هـذا؟ من فعل به هذا؟.

قـال ذلـك وهو يشـير لرجـل هزيل الجسـد تبـدو عليه علامات التعذيب والتنكيل في أبشـع صورها انتابت المفاجأة (سـمير) هو الآخر في حين نظر (شـهاب) لحيث أشار عصام فانعقدا حاجباه بشـدة واكتسـت ملامحه بدهشـة عارمة وهو يتطلع لمن تقوم باستجواب (أسامة) وهو يتطلع لتلك الفاتنة صاحبة العيون الزرقاء وهو يتطلع (لراشيل موردخاي).

١٥- الصدمة..

- تمالك نفسك ياعصام.

نطق (شـهاب) بتلك الجملة همسًا وعصام يحدق بذهول بأخيـه الجالس على أحد الكراسي وحوله مجموعة من الرجال المتنمريـن و(راشـيل موردخـاي) تنفـس دخـان سـيجارتها الرفيعـة والتـي يبدو أنهـا لاتفارقها في أي مـكان كان الحائل الزجاجي يسمح برؤية من بداخل الغرفة ولايسمح بأن يرى الموجودين بداخلها من بالخـارج وفجأة هم (عصام) بانتزاع مسدسـه غـير أن قبضة (شـهاب) الفولاذية قـد صعقته حين ضغت بشدة على يديه واستطرد:

- الحماقات لن تفيد يجب أن نحكم العقل.

في حين غمغم (سمير) بتأثر بالغ:

- يا لعدالة السماء أخيه!! حبيس المنطقة (ج)!!

نظـر (عصام) إليه وهمَّ بالحديـث غير أن النقيب (مراد) ظهـر فجأة وأقترب منهم وتحدث لعصام بخبث واضح وهو يبتسم:

– معـك حـق ياسـيادة الرائد أنهـا امـرأة لم أرى مثلها في حياتي.

سأله (عصام) مغتصبًا أبتسامة شاحبة:

ـ من تلك الحسناء يامراد؟

أسرع مراد يقول:

– أنهـا من الـKGB[1] وتحقق مع هذا الشـخص تحديدًا دون غـيره بناءًا على تعليمات من سـيادة العقيـد (حامد بدر) شخصيًّا.

سأله (عصام) وهو يغلي من أعماقه:

– وما تهمة؟

بادره (مراد) قائلًا:

– إنـه عميل للموسـاد وسرب لهم أسرار عسـكرية عن أسـلحة سـوفيتية تـم تزويـد الجيش المـصري بها حيـث كان ضابطا بسـلاح المهندسـين وهذا ما دفع الروس للاهتمام لقد قرأت ملفه عدة مرات فأنت تعلم أن الحياه في هذا المكان مملة للغاية وتحتاج لأي جديد يقطع هذا الملل.

(١) المخابرات السوفيتية.

(عصام): وماذا وجدت في ملفه.

استطرد مراد وهو يتحرك:

- هيا بنا لمكتبي نتناول بعض المياه الغازية ثم علت وجهه ابتسامة خبيثة وهو يستطرد:

- ونتابـع تلـك الفاتنة وهي تسـتجوبه من خلال أجهزة التصنـت الموجـودة بمكتبـي ثم توقـف فجأة وكأنـه تفاجئ بـ(سمير) وقال بضيق:

- ولكن من هذا الشخص؟

بادره (عصام) قائلًا بصرامة:

- ألم أقل لك انهم ضيوف سيادة العميد (حامد بدر)؟

ارتبك (مراد) وأومأ برأسه إيجابًا وتلعثم وهو يقول:

- نعم نعم على الرحب والسعة.

لم يسـتطع (مـراد) التعرف على (سـمير) فمئـات الجنود يتناوبون الخدمة في المنطقة (ج) يوميًّا فلا أحد يعرف أو يتذكر أحد في هذا الجحيم

وخـلال لحظـات كانـوا بالمكتب يسـتمعون لـ(راشـيل موردخـاي) مـن خـلال أجهـزة تصنـت زرعـت في غرفـة الاستجواب وهي تصرخ بشراسة بالغة في وجه أسامة:

- أيـن التصميـمات أيها الوغد؟ لـن تتمكن من الصمود للأبد أرحم نفسك من هذا العذاب فلا فائدة من العناد لاأحد يشعر بك ونحن نقدم لك عرضًا خياليًا ولكنك أحمق؟

تحدث (أسـامة) بعينان زائغتان من شـدة الألم و(عصام) ينظر إليه من خلف حائل زجاجي ضخم ويسـتمع للحديث مـن خلال تلك السـماعات على أذنه ويـكاد قلبه ينصهر وهو يكابد ويقاوم دموعه حتى لاينكشف أمره و(شهاب) يضغط على يده:

- لـن أعطيكم شيء أيها الأوغـاد حتى لو قتلتموني ألف مرة نطق (أسـامة) بتلـك الجملة بضعف بالغ في حين ظهرت أبتسامة شرسة على وجه (راشيل موردخاي) وهي تشير لأحد مرافقيها إشارة ذات مغزي وكان (أسامة) يستند براحتيه على سـطح المنضـدة التـي أمامه من شـدة الإعيـاء وبالـكاد يرفع رأسه ويقام سـقوطها لأسفل فقام الرجل على الفور وبشكل

مباغت بطعن إحـدى راحتيه بخنجر حاد فاخترقها وأخترق المنضـده وتفجـرت الدماء من راحته وسـط صرخـات الألم المدويـة والتـي انخلع لهـا قلب أخيـه ولم يتسـطع أن يتحمل أكثر من ذلك فاسـتل مسدسـه بشـكل مباغت وأطلـق النار مباشره على الرجل فأراده قتيلًا واشتعل الموقف وأخذ عصام يطلـق النار في موجة عارمة مـن الغضب فأصاب العديد غير أن (راشـيل موردخـاي) أختفت بشـكل مفاجـئ أثناء حالة الفوضي التي عمت غرفة التحقيقات في حين دوت صافرات الإنـذار وصرخ (أسـامة) باسـم أخيه فور رؤيتـه وهنا تمالك (مـراد) نفسـه وأنتزعها من ذهولها وأسـتل مسدسـه وصوبه تجاه (عصام) هاتفًا بشراسة:

- أيهـا الخائـن أنـت أخو هـذا الجاسـوس لـن.... وبتر عبارته فجأة على إثر ضربة سريعة من راحة يد شهاب اليسرى أطاحـت بمسدسـه أعقبتها ركلـة قوية اسـتقرت في بطنه ثم خطافيـة خلف أذنه أفقدته الوعي في الحـال كان (عصام) قد اندفـع نحـو أخيه بكل شـوق الأرض وضمـه إلى صدره، في حـين انطلق (سـمير) وأحضر ثلاثة بنادق آليـة وعدة خزائن محشـوة بالرصـاص وعلم (شـهاب) كيف اختفت (راشـيل

موردخـاي) هكـذا فجأة حين وجـد بأرضية غرفـة التحقيق أحـد أنفـاق الهروب والذي يمتـد بالتأكيد إلى خـارج المنطقة (ج) وسرعـان ماسـمع صـوت إحـدى المروحيـات تنطلـق ويبتعـد صوتها شـيئًا فشـيئًا فـأدرك أنها (راشـيل) ومن معها قـد غـادرًا منطقـة الجحيم..المنطقـة (ج) وعـلى الفـور تحرك (شـهاب) وحمل (مراد) بعد أن قيده وألقاه في النفق ثم أغلقه وتزامـن ذلك مـع أقتحام مجموعة كبيرة مـن الجنود يتقدمهم ضابـط برتبة ملازم أول وقد اتخـذ الجميع وضع إطلاق النار شـاهرين بنادقهم الآليـة بتحفز بالغ كان (عصـام) قد تمالك أعصابة فهتف فيهم بلهجة صارمة:

- فليخفض الجميع أسـلحته لقد أفشـلنا محاولة لتهريب هذا الجاسوس وأشار لأخيه ثم تابع:

- وتلك جثة أحدهم.

وبدون أدنى نقاش هتف الضابط الشاب في جنوده:

- الجميع يحفظ سلاحه.

ثم أدى التحية العسـكرية بحماس لعصام الذي استطرد بصرامة:

ـ ارفع الحالة في المنطقة لحالة الاستعداد القصوى.

ثم أشار لأخيه واستطرد بقوة:

– احـضر هذا الجاسـوس إلى مكتب قائـد المنطقة وألقى القبض فورًا على النقيب (مراد موافي).

اتسـعت عينا الضابط بذهول فور سماعه تلك التعليمات والتي تطالبه بإلقاء القبض على قائد المنطقة (ج) النقيب (مراد موافي)، فأسرع (عصام) يهتف بصرامة:

– هل لديك مشكلة في تنفيذ الأوامر ياسيادة الملازم؟

اندفع الضابط الشاب يهتف بقوة:

– كلا ياسيادة الرائد ستنفذ في الحال.

وفي مكتـب قائـد المنطقـة (ج) النقيـب (مـراد مـوافي) والمحتجز حاليًا بنفق الهروب أسفل إحدى غرف التحقيقات كانت توجد صورة ضخمة للرئيس جمال عبد الناصر تتوسط الحائط خلف مكتبه، أخذ (أسامة يونس) يتحدث أمام إحدى كاميرات التصوير السينيمائي وأخيه الرائد (عصـام) يتابعه بمرارة وقد اغرورقت عيناه بالدموع ووسط تأثر الجميع قال (أسامة) بضعف بالغ:

– أنـا الرائـد مهندس (أسـامة يونـس) كنـت منـذ خمس سـنوات أعمل ضمـن برنامـج الصواريخ القاهـر والضافر، و تمكنـت من التفـوق على الألمان واخترعـت منظومة توجيه لتلك الصواريخ وتقدمت بها لوزير الحربية وفجأة تم إرسالي في منحة عسـكرية للاتحاد السـوفيتي وهنـاك عرض الروس عليَّ منحي الجنسـية السـوفيتية والعمل بمرتـب مغري بأحد مراكـز الأبحـاث العسـكرية لديهـم والخاصـة بالصواريـخ الباليسـتية مقابـل منحهم تصاميم اختراعـي وتنفيذ المشروع لحسـابهم، وافقتهم وأوهمتهـم أن التصاميم في مصر في مكان لا يستطيع أحد غيري الوصول إليه حتى يتركوني أعود لمصر، وبالفعل وفور عودتي توجهت لمكتب المشـير رأسًا ولم أستطع مقابلته وتحدثـت مع مدير مكتبه وطمأننـي ولكنني فوجئت بإلقـاء القبـض عليَّ واعتقالي مـن منزلي فجر اليـوم التالي على يـد المخابرات العامـة، وتم اقتيادي إلى هنـا في البداية لم أفهم أي شيء وكنـت متأكـد أن هناك خطأ ما ولكنـي فوجئت أن السـوفيت جـاءوا إلى هنا وعرضـوا عليَّ إنقاذي من السـجن الحربي إضافة لعرضهم السـابق ولكنني رفضت وأنا هنا منذ

خمس سـنوات كاملة وما يمنعهم عـن قتلي هو احتفاظي بسر منظومة التوجيه ورغبتهم المستمرة في الحصول عليها.

انعقد حاجبا (شـهاب) وهو ينظر للرائد (أسـامة) بتأثر وهو يغمغم بسخرية:

ـ ليـس الـروس ياصديقـي أنهـم الإسرائيليـون.. الإسرائيليـون الذيـن اخترقـوا حتـى أكثـر سـجون الثـورة فظاعة.

في حين استطرد (فريد وصفي):

– ولكن العالم كله شاهد الرئيس جمال عبد الناصر يشهد إطـلاق تلـك الصواريـخ بنجاح عـام ٦٢ لقد قمـت بنفسي بتصوير تلك المشاهد فكيف تقول أنت أن...قاطعه بثقة بالغة امتزجت بآلامه الشديدة:

– وهل رأيت أين سقطت تلك الصواريخ؟

فاجأ السـؤال (فريد وصفي) في حين بدا (شهاب) مهتمًا لسماع الإجابة:

– لقد سـقطت تلك الصواريخ بعيـدًا عن المكان المحدد لها بـ١٥٠كـم لافتقادها منظومة توجيـه دقيقة ولكن الجميع

أخفى ذلك عن جمال عبد الناصر الذي جاء وشاهد الصواريخ تنطلـق في الهواء ورجـع من حيث أتى وانتهـى الأمر، قاطعه (شهاب) بهدوء:

- ولكن هل تأكد نجاح منظومة التوجيه التي ابتكرتها؟

اندفع (أسامة) يجيب بلهفة:

- نعم نعم لقد تم تزويد كتيبة صواريخ من طراز القاهر والظافـر بتلك المنظومـة وأصابت أهدافها بدقـة بالغة ولكن التجربـة بقيـت سرًا وتـم أخفائها عـن عبد النـاصر وحاول السوفيت الحصول على تلك المنظومة وهذا هو سبب وجودي هنا.

استطرد (شهاب):

- وهل من أي دليل على صحة ما تقول؟

(أسامة): كتيبة الصواريخ المزودة بتلك المنظومة موجودة بالقاعدة الجوية ببلبيس.

هتف (فريد) بتأثر بالغ:

– سـيصل هـذا التصويـر للرئيـس جمـال عبـد النـاصر شـخصيًّا و.... بتر عبارته فجأة حين جاء من خلفهم صوت مميز يقول بسخرية بالغة:

– جمال عبد الناصر نفسه لن يخرج من هنا حيًّا.

نطـق (حامد بدر) بتلك الجملة ومن حوله احتشـد عدد كبـير من الجنـود المسـلحين ببنـادق الـ(كلاشـنكوف) وكان يقف بجانبه وقد ارتسـمت على وجهه ابتسامة شامتة النقيب (مراد موافي) والملازم أول الذي شـك في الأمر وأخبر(حامد بدر) على الفور بما جرى فأتى من فوره وها هو ذا يسيطر على الموقف.. يسيطر تمامًا..

١٦- رائحة الموت..

مرت لحظات بدت وكأنها دهور قبل أن يستطرد (حامد بدر) بغطرسة:

- يـا لحماقتـك يا (عصـام) هـل اعتقدت أنك تستطيع الفرار بفعلتك تلك؟

قال (عصام) باستسلام تام:

- أرجـوك ياسـيادة العقيد أطلق سراح أخـي وأنا رهن إشارتك، افعل بي ما تريد.

نظر (حامد بدر) باستهتار واضح لـ(عصام) مستطردًا:

- لـو كنـت أخبرتنـي من قبـل أن أخيـك لديه مشـكلة لقمت بحلها على الفور ولكن على أية حال لم يفت الآوان بعد فأخيك... ثم استل مسدسـه فجأة وأطلـق النار مباشرة على رأس (أسامة يونس) فلقي مصرعه في الحال وعاد يكمل:

- ... ها قد انتهت مشكلته.

صرخ عصـام وارتمـى عـلى أخيـه وأمسـك رأسـه بيديه فتدفقت دماؤه الساخنة بين يديه:

- أيها المجرم أيها الحقير.

في حين صرخ (فريد وصفي) بانفعال بالغ:

- يـا لحقارتك أقسـم أنني سـوف أقـ... قاطعـه (حامد بدر) بضحكة شيطانية:

- لن تجد الوقت الكافي لذلك أيها الأحمق.

كان (شـهاب) طيلـة الوقـت وبالرغم من بشـاعة مقتل (أسامة) منذ لحظات رابط الجأش يبحث عن حل لهذا الوضع الصعب في حين بدا (سمير) واثقًا من أنها النهاية على يد ذلك البشـع (حامد بـدر) بينما انتاب الذعر فريـق عمل الفيلم، ثم أشـار (حامد بـدر) للجنود باقتياد الجميع لأسـفل، وبالفعل وخـلال لحظـات كانـوا جميعًا يقفـون صفًّـا واحـدًا وحرارة الشمس تلفح أجسادهم وتحدث إليهم (حامد بدر) بسخرية من أسفل تلك المظلة الكبيرة التي يقف تحتها:

- أنتـم جواسـيس وخونة وعقوبة ذلـك الإعدام ولكن كل شيء هنـا يجـري بنظام ودقـة ولذلك سـتنتظرون دوركم حتى يأتي.

ثم أطلق ضحكته الشـيطانية التي أخذ صداها يدوي في سكون الصحراء وكان (حامد بدر) يقصد من ذلك تعذيبهم حتى النهاية.

وبالفعل أخذ فريق عمل الفيلم يتوسل إليه:

- الرحمة لا دخل لنا بشيء الرحمة.

كان (شهاب) ينتظر شيئًا ما شيئًا ما يحدث ماهو؟ وكيف؟ ومتى؟ ليسـت لديـه أي إجابات وبرغم ذلـك كان على يقين أنهـا لن تكـون النهاية، وكانـت طابورًا طويلًا من المسـاجين يقـف صفًّـا واحـدًا، وأمامهم مجموعـة من الجنـود يوجهون إليهـم بنادقهـم الآلية، وماهـي إلا لحظات حتـى فتحوا النار فأردوهم جميعًا قتلى، وأخذ صدى إطلاق الرصاص يتردد في جو الصحراء، وبدا وكأنه لا يريد أن يتوقف وها هي مجموعة أخـرى وطابور آخر فيطلق الجنود النار ويسـقط الجميع قتلًا وفريق عمل الفيلم يصرخ مع كل طلقة رصاص:

- الرحمة الرحمة.

وفجـأة حدث مـا كان ينتظره (شـهاب) معجـزة!! نعم معجزة! حدثت عندما مرت مروحية عسكرية بالمنطقة متجهة

لقاعدتهـا بمنطقة السـلوم وفجأة فقد قائدها السـيطرة عليها وأخذت تدور حول نفسها بشكل سريع وتهبط بشكل أسرع مقتربـة مـن الأرض، فأحدثـت عاصفة رملية عنيفـة بالمكان وكانـت تلك هـي الفرصة الذهبيـة لـ(شـهاب) الذي تحرك عـلى الفـور وانتزع إحدى بنـادق الـ(كلاشـنكوف) من أحد الجنود الذي انشـغل بحماية وجهه مـن العاصفة الرملية التي أحدثتهـا المروحية قبل أن تسـقط، وعلى الفور قام (شـهاب) بإطـلاق النـار باتجـاه (حامد بـدر) وقام (سـمير) و(عصام) الذين حصلوا بدورهم على بنادق آلية في وسط حالة الفوضى التـي عمت المكان بإطلاق النار بشـكل عشـوائي على الجنود والضباط فأردوا العديد منهم، وقامت أبراج الحراسة بالباقي حيـث أخـذت في إطـلاق النـار بشـكل كثيـف وسـط تلك العاصفـة الرمليـة فقتلت عددًا كبـيرًا من الجنود والمسـاجين من بينهـم (مراد موافي)، ولكن (حامد بدر) اختفي.. اختفي تمامًـا.. وقـام شـهاب بإطـلاق النـار بشـكل كثيـف لتغطية انسـحابه وأخذ يركـض، ولكن أحد أبراج الحراسـة بموقعه العـالي والذي يغطي مسـاحة واسـعة مـن أرض المنطقة (ج) وتلـك الرشاشـات الثقيلة التي تسـتخدمها الجنـود من فوقه

شكلت خطرًا كبيرًا على (شهاب) بحيث حُوصِر تمامًا وأجبره إطلاق النار الكثيف على اتخاذ ساتر والاحتماء خلفه، ولكن وبجسارة بالغة فتح (عصام) النار على برج الحراسة فتحول عن (شهاب) وتبادلت معه إطلاق النار وأصابه في مقتل فسقط قتيلًا ولكنه منح الفرصة لـ(شهاب) بأن ينجو ويصل للمروحية، فقفز بداخلها وأدار محركها وحلق بها وفتح النار على برج الحراسة فقتل كل من فيه، وقام بفتح النار على حظيرة كلاب الشيطان فقتلها جميعًا وأخذوا يدور بالمكان للبحث عن (حامد بدر) الذي بدا وكأنه تبخر في الهواء.

جرى كل ذلك وسط دهشة (فريد وصفي) والذي أخذ يصور كل ماجرى من خلال كاميرة فيديو شخصية وهبط (شهاب) بالمروحية عندما يأس من العثور على (حامد بدر) والتقط (فريد وصفي) وفريق عمله وقفز من المروحية وركض هو و(سمير) نحو عنابر السجناء وقاما بإطلاق النار على رتاج كل زنزانة من بنادق الـ(كلاشنكوف) التي يحملونها، وعبر أحد مكبرات الصوت الملقى على الرمال بين الجثث المتناثرة هنا وهناك أخذ (شهاب) يهتف:

- فليهـرب الجميـع وليسـتخدم السـيارات الموجودة في الجراج.

ثم أخذوا يركضون عائدين للمروحية والتي لم تكد ترتفع عن الأرض حتى اندفع المساجين من عنابرهم وانطلقوا نحو السـيارات الموجـودة بالجراج وقد تملكهـم الذهول لما يحدث وارتفع شـهاب ورأى من أعلى السـيارات وهي تتحرك وقد امتلأت عن آخرهـا، وبالرغم مما مر به (فريد وصفي) إلا أنه أخـذ يصـور المنطقـة (ج) من أعلى بعد أن سـواها (شـهاب) بـالأض بحيـث لم يعد هنـاك ما يسـمى بـأرض الجحيم بعد الآن.

١٧- هزيمة قبل المعركة..

رن جرس الهاتف بإحدى الاستراحات الخاصة بمسئول أمني رفيع المستوى في وقت مبكر من صباح الرابع من يونيو عام ٦٧، وكان عبارة عن شاليه على أحد شواطئ مدينة الإسكندرية لم يكن شاطئًا خاصًّا بكبار الشخصيات فحسب، بل كان شاطئًا خاصًّا به.. خاص به فقط.. فبادر بالتقاط سماعة الهاتف غير أن فاتنة السينما المصرية النجمة اللامعة (نوال زهدي) حاولت إثناؤه عن ذلك قائلة:

- دعك منه يا (صبري) لازال الوقت مبكرًا على هذا الازعاج.

لكنه أكد لها أن الأمر لن يستغرق سوى بضعة دقائق، وبالفعل لم تمضي سوى دقائق قليلة حتى عاد وعلت وجهه الممتلئ الذي يحمل تلك الشفاة الغليظة والعينين الضيقتين ابتسامة ساخرة فبادرته قائلة:

- ما الأمر يا (صبرى)؟

أجاب بسخرية ولا زالت تلك الابتسامة الكريهة تعلو وجهه وهو ينفث دخان سيجاره الكوبي الفاخر:

– جمال عبد الناصر يشعر بالخوف يا جميلتي.

أطلقـت (نوال زهـدي) ضحكة أنثوية أطلـت منها كل معاني الغواية وهي تسأل بتعجب مصطنع:

– إنك تمزح وهل يوجد شيء في العالم يسـتطيع أن يُخِيف جمال عبد الناصر؟

قالت ذلك وهي تعلم جيدًا أن (صبري نجم) سيستعرض نفوذه أمامها وقد كان حين استطرد ساخرًا:

– ياصغـيرتي جمـال عبد النـاصر ماهـو إلا ديكور حاكم أما الحاكـم الفعلي لمصر فهاهو يقف أمامك بشـحمه ولحمه، فأطلقت ضحكة كسـابقتها وهي تتطلـع إليه بإعجاب زائف مما دفعه أن يستطرد وقد سيطر عليه الغرور والتباهي:

– أنا من يحرك الأحداث في مصر، أستطيع بمكالمة بسيطة أن أجعل جمال عبد الناصر يترك منزله أو يلغي زيارة أو يقيل حكومـة، وعامر وإن كان صديقي فإنه لايصلح مطلقًا لقيادة الجيش، إنه لا يصلح سـوى أن يكون عمدة قرية و...قاطعته بدلال بالغ:

– أعلم ياعزيزي أنك الرجل الأقوى بمصر.

بدا (صبري نجم) مزهوًا بنفسه بعد ذلك المديح وتابع مسلسل زهوه وغروره:

- هل تعلمين بماذا حدثني جمال عبد الناصر منذ قليل؟

همت بالحديث غير أنه لم يمهلها وقال:

- لقد حصل من السوفيت على وحدة رادار متطورة للغاية تستطيع أن تكشف الطائرات الإسرائيلية فور إقلاعها من مطاراتها في إسرائيل ولكن الرادار الروسي لا يستطيع أن يكتشف الطائرات المهاجمة على ارتفاع أقل من ٥٠٠ متر.

وعبد الناصر يتخوف من وصول المعلومة لإسرائيل لأنه يتوقع الهجوم الإسرائيلي يوم ٥ يونيو تحديدًا.

أطلقت فاتنة السينما المصرية (نوال زهدي) إحدى ضحكاتها المثيرة واستطردت بخبث:

- لا تقلق يا (صبري) جيشنا سيرمي إسرائيل في البحر وسنذهب سويًّا في نزهة لتل أبيب لنحظى هناك ببعض المرح.

عاد صبري للضحك مرة أخرى مستطردًا:

– وسـآتي بـ(جولدمائـير)[1] و(موشي ديـان)[2] ليقوما بتلميع أحذيتي وتنظيف استراحاتي الخاصة.

أطلقـت (نوال زهـدي) تلك المرة أكثـر ضحكاتها أنوثة واستطردت:

– سيكون ذلك ممتعًا للغاية.

وتتثاءب بدلال بالغ وهي تقول:

– سـأعود للنـوم يا عزيـزي فلدي اليوم حفل سـاهر في القاعدة الجوية ببلبيس ولن ينتهي قبل الفجر وأريد أن أستعد له.

احتشـد العديد من الفنانين والفنانات والفرق الموسيقية بالقاعـدة الجويـة ببلبيـس في الرابع من يونيو مـن عام ٦٧ في الحفـل الذي نظمته الشـئون المعنوية للقوات المسـلحة ترفيهًا عن طياري القوات الجوية المصرية ودعمًا لهم وهم على أبواب الحـرب مع إسرائيل،أفخر الطعام والشراب أتت بها طائرات

(١) رئيسة وزراء إسرائيل أثناء هزيمة ٦٧.

(٢) وزير الدفاع الإسرائيلي في حرب ٥ يونيو ٦٧.

الشـحن العسـكرية مـن أفخم فنـادق القاهـرة ذات الخمس نجـوم صناديـق (الشـمبانيا) أتـت محتفظـة ببرودتهـا بالرغم من حرارة الجو في شـهر يونيو وكانت أشـهر فنانات الرقص الشرقـي قد أنهت لتوها فقرتها على المـسرح الكبير الذي أُقيم بقلب أكبر القواعد الجوية لسـلاح الجـوي المصري بصحراء بلبيس وسط التصفيق الحاد من الطيارين الذين طالبوا بإعادة الفقـرة مرة أخـرى والجدير بالذكر أن الحفـل كان مذاعًا عبر الإذاعـة المصرية وكان فيلم (ثورة شـعب) الذي قام ببطولته (شـهاب) قد حقق نجاحًا باهرًا وجعل من (شهاب) ما يشبه البطـل القومي بعد ما أُذيـع في دور العرض المصرية وحضره الرئيس جمال عبد الناصر شخصيًا وفي الصفوف الأولى جلس المخـرج (فريـد وصفـي) والمنتـج المزيف (ألـبرت فردريك) وأبنته الفاتنـة (مارجريت) وأبطال الفيلـم ومن بينهم (نوال زهـدي) التي أخـذت تتطلع لـ(شـهاب) باعجاب بالغ وهو يقف على خشـبة المـسرح بقامتـه الرياضية ووسـامته وأناقته الواضحة وهو يتلقى التصفيق الحاد من الجميع ثم مالت على (ألبرت فردريك) وهمست في أذنه قائلة:

– الـرادار الـروسي أعمى تحـت ٥٠٠ مـتر ياعزيزي ولم تكد تنهى جملتها حتى ارتفعا حاجبا ألبرت للدرجة القصوى واتسعت عيناه وهمس بدوره في أذنيها مستطردًا بلهفة بالغة:

– هـل أنتِ متأكدة من تلك المعلومـة هلـ.....؟ قاطعته بثقة ولا زالت تتطلع لشـهاب من فوق خشبة المسرح والذي بدأ في الحديث:

– مصدر المعلومة (صبري نجم) نفسه.

أخـذ شـهاب يقرأ مـن ورقـة تسـلمها من أحـد ضباط الشـئون المعنوية في أحـد الفواصل بين الفقـرات الغنائية عن أمكانيات صواريخ القاهر والظافر الجبارة وكيف أنها تستطيع تدمير إسرائيل في دقائق معدودة لتنطلق عاصفة من التصفيق الحاد فور أنتهاؤه، كانت (مارجريت) تعيش في عالمها الخاص وهي تنظر لشهاب بحيث لم تلاحظ حتى غياب أبيها المفاجئ ومما زاد معاناتها أن ماتشـعر به تجاه (شـهاب) كان إحسـاس تشـعر به للمـرة الأولى ومـع طبيعتها الرومانسـية الحالمة كان الأمـر معقدًا..معقدًا للغاية كان بمثابـة من يحترق حبًّا كانت أولى كلماتـه لها عـن الحب من النظرة الأولى تضرب على أوتار

قلبهـا برقة بالغـة كم كان شـهمًا معها إلى درجـة ترهق العقل فرغـم مصارحتهـا بحبها لـه وتتضرعهـا المسـتمر في محراب (كيوبيد)[1] وتلك القرابين التي تساقطت كحبات اللؤلؤ من تلـك العينان الزرقاء القاسـية في جمالها إلا أن (شـهاب) كان ملهمًا لها بأن تتجرد من كل شيء وأي شيء إلا من نقاء وصفاء تلك المشـاعر الراقية التي أحاطت بهذا الحب وأكسـبته براءة إنكسرت عليها كل رغبات الجسد.

أخذ (شهاب) يتطلع لتلك الوجوه التي أمامه بمزيج من السخرية والمرارة والسؤال يدوي في أعماقه:

– هـل هـؤلاء السـكاري قادمـون على حرب مـع عدو شرس؟

في تلـك الأثنـاء وعـلى النقيـض تمامًا مما يحـدث في مصر كان العمـل يجـري عـلى قدم وسـاق في جميع القواعـد الجوية الإسرائيلية وكأن الجميع في سـباق محمـوم مع الزمن الفنيون أحاطـوا بطائـرات الفانتـوم والمـيراج الإسرائيليـة وأخـذوا في تزويدهـا بالوقـود وبخزانـات الوقود الإضافيـة وآخرون

(١) إله الحب عند الرومان.

أخذوا في تزويدها بطلقات الرصاص والصواريخ كي تكون مستعدة للانطلاق بعد أقل من ساعتين لضرب مصر وكان قائد القوات الجوية الإسرائيلية بنفسه يمر على جميع القواعد والمطارات للتاكد من أن كل الأمور تسير بالسرعة والدقة المطلوبة وأقترب أحد الضباط من(موشيه أراد) قائد سلاح الجو الإسرائيلي وهو يتفقد العمل في أحد القواعد الجوية شمال (تل أبيب) وأدى التحية العسكرية بحماس بالغ وما أن رآه (موشيه) حنى تهللت أساريره وأنتزعه من ذراعه وهتف بلهفة بالغة:

– قل لي يا (عذرا) أن المعلومة وصلت من القاهرة أرجوك قل ذلك.

ابتسم (عذرا رابينوفيتش) ضابط الاتصال مع (الموساد) وقال بحماس جارف:

– نعم ياسيادة الجنرال وصلتنا للتو معلومة من الموساد تفيد بأن الرادار الروسي الذي أمد به السوفييت عبد الناصر أعمى تحت ٥٠٠م.

تخلى (موشيه أراد) عن عسكريته للحظات وقفز في الهواء كالمجنون صائحًا بقوة في مجموعة من مرافقيه:

- رائع رائع إنني أشم رائحة النصر تأتي من الجنوب تأتي من مصر.

عـاد (ألبرت فردريك) يجلس عـلى مقعده بجانب نجمة السـينيما المصرية (نوال زهدي) والتي التفتت له وقالت وهي تبتسم بخبث:

- هل طارت المعلومة؟

علت الفرحة وجه (ألبرت) وهو يقول:

- بالتأكيـد ياعزيزتي وما هي إلا سـاعة ونصف من الآن وسيتحول هذا المكان لجحيم من النيران.

نهضت (نوال) فور انتهاء (ألبرت) من جملته واستطردت بابتسامة باردة:

- حسنًا هل تود الانتظار لتشاهد ذلك بنفسك؟

لمعـت عينـاه الزرقاء واسـتطرد بخبـث بالـغ وهو يترك مقعده:

- لا ولكن سأترك من ينوب عني.

بـدت كلماتـه غريبة ولكنها لم تعد كذلـك بعد أن تأبطت ذراعه وهمت بأن تشـير لشـهاب بالانصراف فشـعرت بشيء بـارد يضغط على جانب صدرها واسـتطرد (ألبرت) بقسـوة جمدت الدماء في عروقها:

- إشـارة واحـدة أخـرى وأضغـط زنـاد هذا المسـدس الكاتـم للصوت تحركي معي بهدوء وبلا أي مقاومة فلم يعد لهذا الوسيم جدوى.

بدا الذعر واضحًا على وجه (نوال زهدي) أو جاسوسـة (الموساد) بتعبير أدق وهي تستطرد بهلع:

- وهـل سـتترك ابنتـك دعنـا نبحـث عـ... قاطعهـا بسخرية:

- يـا لرقـة قلبـك، أعترف بأننـي تفاجـأت وعمومًا لقد غادرت (مارجريت) وسبقتنا للقاهرة.

لم تجد (نوال زهدي) سوى الانصياع لـ(ألبرت) وأخذت تمشي برفقته مغادرة المكان ولاحظ (شهاب) ما يحدث من فوق خشـبة المسرح واكتسـت ملامحه بالقلق البالغ فمن المفروض

وكما هو محدد أن يقوم (ألبرت) بإعطاؤه الشرائط الناسفة وخريطة القاعدة والموضح عليها موقع صواريخ القاهر والظافر ولكن هاهو الوغد (ألبرت) يفر مع جاسوسته لعلمه بالتأكيد عن قرب ضرب القاعدة وبداية العدوان على مصر وكان (فريد وصفي) قد غادر منذ أكثر من ساعتين بعد أن أبلغ (شهاب) أن قريبه عضو مجلس قيادة الثورة نصحه بألا يبلغ جمال عبد الناصر بشيء عن المنطقة (ج) وما يحدث في السجن الحربي، نظر (شهاب) في ساعة يده فوجدها تقترب من الخامسة صباحًا والحفل شارف على الانتهاء وطائرات إسرائيل ستقلع لضرب المطارات والقواعد الجوية المصرية وعلى رأسها تلك القاعدة في غضون ٦٠ دقيقة من الآن كان (أسامة يونس) قد أخبره في المنطقة (ج) عن وجود صواريخ مزودة بمنظومة التوجيه التي اخترعها بالقاعدة ولكن أين؟ وكيف سيسأل سؤال كهذا؟ وبدت مشكلة لشهاب ولكنه كان عليه التحرك وبسرعة وهو مافعله حين أنطلق بأحد الاتجاهات ليرى ماذا يمكن أن يفعل ومع كل خطوة كان يخطوها كان يتجمع حوله المعجبين والمعجبات وأخذ يقلب

بصره في المكان هنا وهناك وفجأة قفزت إلى رأسه فكره عندما قرأ على أحـد الحوائط تلك العبارة (في حالات الخطر اضغط عـلى صافـرة الإنـذار) كانت تلـك العبـارة أعـلى زر إطلاق صافرة الإنذار ووسـط حشد من معجبينه أقترب شهاب من أحد الأطفال وأخذ يداعبه بمرح ثم اخذ منه كرة كان يحملها في يده وأخذ وبمهارة بالغة يبدي مهارته في الأحتفاظ بها على قدمه اليمنى تارة واليسرى تارة أخرى وسط إعجاب وتهليل المعجبين ثم قام بتصويب وتسـديد الكرة بركلة قوية انطلقت بعدهـا الكرة مباشرة لترتطم بزر صافـرة الإنذار والذي كان يبعـد عـن (شـهاب) مسـافة تتعدى الخمسـة أمتـار لم يلحظ أحـد ذلك ولكن الجميع أنفض فجأة من حول شـهاب حين انطلقت صافرات الإنذار تدوي في أرجاء القاعدة وسط حالة من الذعر بين المدنيين وانطلقت مكبرات الصوت تهتف:

– عـلى جميع المدنيين التوجه إلى الملاجئ الأرضية متبعين اللافتات الإرشادية، وعلى قوات التأمين التوجه فورًا لمخازن الصواريخ.

انطلق شـهاب مستغلًّا حالة الفوضى التي عمت القاعدة ولم يكـن بالتأكيـد ينطلـق نحـو الملاجـئ الأرضيـة بـل نحو مخـازن الصواريخ حتـى حدد مكانها وكانت تتكون من تسـع مسـتودعات عملاقة يتوسـطهم مبنى من طابقين وكان عبارة عن غرفة التحكم في إطلاق تلك الصواريخ اختفى (شهاب) خلف أحد الأشـجار التي تمتلئ بها القاعدة وسـاعده في ذلك الإضـاءة الخافتـة في تلـك المنطقة منهـا ولم يمـضِ الكثير من الوقت حتى دوت صافرات الأمان مرة أخرى معلنة عن زوال الخطر فغادر الجنود المكان ولم يبقى سـوى عدة جنود موزعين على المنطقة لحراسـتها نظر شـهاب في سـاعة يده فوجدها تمام الخامسـة والنصف فتحرك على الفور وتسـلل بخفة إلى داخل مبنى التحكم وسـاعده على ذلك أن الجنود المكلفين بحراسـة مخازن الصواريخ قد صعدوا جميعًا فوق سـطح المبني وأخذوا في المراقبة..ليسـت مراقبـة الجواء بحثًا عـن طائرات مغيرة أو أهـداف معاديـة بـل مراقبة نجمـة الرقص الشرقـي الأولى في مصر من فـوق مسرح الحفل السـاهر وذلك بنظـرات الميدان المعظمة كما شـاهدوا أيضًا قائد القاعـدة والطيارين والضباط

يجلسـون أمامها مباشرة وقد أطلقوا العنان لأيديهم في عاصفة مـن التصفيق الحاد إعجابًا بفنها، تسـلل (شـهاب) إلى داخل غرفة التحكم وبـدأ العمل على الفور وأمام لوحة ضخمة من المفاتيـح كتب عليها (صواريـخ القاهر المعدلة) وأخرى تحمل لافتة (صواريخ القاهر) فاسـتنتج شهاب أن صواريخ القاهر المعدلـة هي من زودوها بمنظومة التوجيـه الآلي التي ابتكرها (أسـامة) وبحث عن مفاتيح التوجيه فوجدها أسـفل اللوحة فقـام بضبط اتجاهات الإطلاق نحـو إسرائيل وها هي مفاتيح الإطـلاق أعـلى اللوحـة وكان يوجـد ٢٠ مفتـاح مرقمين من ١ حتـى ٢٠ وهو مايعبر بالتأكيد عن عـدد الصواريخ المرتبطة باللوحـة وكان بجانبهـم مفتـاح بلـون مختلف مكتـوب عليه (الجميـع) أي إطـلاق جميع الصواريخ العشريـن دفعة واحدة بالتتابـع وبينـما شـهاب يسـتعد للضغـط على مفاتيـح إطلاق صواريخ القاهـر المعدلة ذات المدى ٦٠٠كـم بمنظومة توجه اخترعها أحد أبنائها متفوقًا على الجميع يكفل لتلك الصواريخ إصابـة أهدافها بدقة تتعدي نسـبة الـ٩٥٪ نحـو إسرائيل قبل إقـلاع طائراتهـم وضرب مصر وهزيمتها تلـك الهزيمة المهينة

إذا بـ(شـهاب) يشـعر بشيء بارد يضغط على رأسه من الخلف وبصوت يبدو مألوفًا له إلى حدًا كبير يقول بسخرية واضحة:

- لم تفلت مني تلك المرة أيها الوغد.

التفت شـهاب بحـدة لمصدر الصوت ليجـد هذا الكريه (حامـد بـدر) يحمـل مسدسًـا يصوبه لـه وقد ارتسـمت على وجهه القاسي ملامح الشماتة.

كان الموقف عصيب.. عصيب بالفعل، فلو تحرك شهاب حركـة واحـدة سـيفجر هـذا المجرم رأسـه بلا تردد وتفشـل مهمته التي باتت قاب قوسـين أو أدنـى من النجاح وفي تلك اللحظـات الحاسـمة.. اللحظـات الفارقـة والتي بـدى فيها الزمن وقد توقف تمامًا لم ييأس (شـهاب) وهمَّ بالوقوف بغتة ليطلق حامد بدر عليه النار فيسقط بجسده على لوحة المفاتيح وينضغط زر الإطلاق الجماعي إلا أن حاجباه قد ارتفعا بشكل مفاجئ بعد أن انطلق صوت مألوف له يهتف بقوة:

- ألقى بالسلاح أرضًا وإلا أطلق النار على الفور.

وبشكل مباغت تدحرج (حامد بدر) على الأرض وأطلق النار في اتجاه الصوت فأصابه ولم يكد يسـتقر على قدميه حتى

تلقى ركلة عنيفة من قدم شـهاب اليسرى أطاحت بمسدسـه بعيدًا وبسرعة مذهلة سدد له عدة ضربات عنيفة براحتي يده هـوى بها عـلى عنقه فانطلق عـلى الفور صـوت تحطم مكتوم لحنجرتـه وضع حامـد بدر كلتـا يديه على حنجرتـه واحتقن وجهه بشـكل مرعـب وأخذ يتحـشرج محـاولًا دون جدوى أن يتنفـس ثم هوى على الأرض صريعًـا ولازالت يديه فوق حنجرتـه التـي حطمها (شـهاب) منذ لحظات ثـم ضغط زر الإطلاق وأقترب بلهفة بالغة لمن أنشقت عنه الأرض لإنقاذه كان هذا الشـخص لايعرف..لايعرف بالمرة كيفية أسـتخدام السـلاح ناهيك دقـة التصويب ولكنه خاطـر بحياته طواعية ودون أن ينتظـر أي شيء رفـع (شـهاب) هـذا المنقذ من على الأرض وبينـما كانـت الصواريخ تنطلق وقد أضاءت السـماء مـن حولها انعكس هـذا الضوء على هذا الوجـه الفاتن الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة وتلك العيون الزرقاء التي كانت في يوم ما قاسـية الجمال وقد ترقرت في عيني شـهاب دمعة تساقطت على وجنتيه وهو يقول بتأثر ملك عليه كيانه:

- لما فعلت ذلك يا (مارجريت) لم خاطرت بنفسك؟

جاءت كلماتها الأخيرة تتسـابق مع آخر دمعاتها الممتزجة بابتسامة لن تتكر ثانية... لن تتكرر أبدًا:

- لأنني أحبك.

١٨- الختـــام..

انطلقت شـهقة حملت كل رعب الدنيا من (موشيه أراد) قائـد سـلاح الجـو الإسرائيلي وقد تـدلي فكه السـفلي بذهول وجحظت عيناه بحيث أوشـكت أن تقفز من وجه وهو يري مـا لم يكن يتوقع رؤيته في أبشـع كوابيسـه فمـن خلف زجاج مكتبـه بمقر قيـادة القوات الجوية الاسرائيليـة بتل أبيب رأى صاروخًا ضخمًا قادم من الجنوب.. قادم من مصر.. وقد صم الآذان بضجيـه وأضـاء الظـلام في أحد أكـبر القواعد الجوية بتل أبيب بشـعلة اللهب الضخمة خلفه قبل أن يسـقط محولًا أكبر قاعدة جويـة في إسرائيل لكتلة من اللهب ألتهمت جميع الطائرات بها وأردت كل من فيها أخذ (موشـيه أراد) يصرخ بذهول:

- اللعنـة اللعنة ماذا يحدث؟ لقد أصـدرت أوامري منذ لحظات للطائرات بالإقلاع؟ هل تدخل السوفيت ضدنا؟

هـل... بتر عبارته فجأة وهو يصرخ بذعر جم وهو يرى صاروخًا آخرًا في طريقه للسقوط ولكن هذه المرة كان قريبًا..

قريبًا جدًّا.. بحيث لم يستطع أن يكمل جملته..جملته الأخيرة وهو يصرخ:

- إنها نهاية النهاية... ثم دوى الانفجار ودمر مقر القيادة بمـن فيه وحولـه لقطعة من جهنم وانهالـت صواريخ القاهر المعدلـة الـ٢٠ على إسرائيل ودمرت جميع مطاراتها وقواعدها الجويـة وكانت تلك هـي المرة الأولى التي يُـضرب فيها عمق إسرائيل كانت الصدمة مدوية بحيث حدثت موجات هجرة جماعيـة من إسرائيل إلى أمريكا وأوروبا بعد الخسـائر البشرية الفادحة التي تكبدتها في سكانها.

وفي مطار (بن جوريون)[1] الدولي والذي نجا من القصف اكتظت صـالات المسـافرين بالإسرائيليـين المذعوريين وهم يفـرون من إسرائيل أكتسـت وجوه الجميـع بالذعر والرعب غير أن وجهًا فاتنًا بالغ الجمال أخذ يضغط على أسـنانه بمرارة واضحـة وأخذت عيناه الزرقاء تزرف الدموع التي سـقطت عـلى تلـك الوجنتـين ناصعتـي البياض عـلى وجنتي حسـناء الموساد (راشـيل موردخاي) وفي القاهرة خرج الرئيس جمال

(١) نسبة إلى ديفيد بن جوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل.

عبد الناصر على شاشـات التليفزيون يؤكد أنتصاره السـاحق عـلى قوى الاسـتعمار والاحتـلال والاسـتغلال والامبريالية العالمية و...إلخ

وبات الجميع ينتظـر أجتياح دبابات الجيش المصري لتل أبيب لكن ذلك لم يحدث..لم يحدث أبدًا.

أخذ شهاب يشـاهد خطاب (النصر) لجمال عبد الناصر في التلفـاز من غرفتـه في أحد فنادق القاهـرة المطلة على النيل وأطلق ضحكة ساخرة قائلًا:

- انتصار ساحق على الإمبريالية العالمية!! بماذا؟ بالرقص الشرقي الحار والشمبانيا الباردة والطيارين السكارى؟

ثم اكتست ملامحه ببعض الأسي وهو يستطرد:

- رحـم الله صاحـب النـصر الحقيقي رحم الله (أسـامة يونس).

ثم ترقرقت على وجنتيه دمعة ساخنة وهو يغمغم بشجن بالغ:

- لن أنساك يا (مارجريت) لن أنساك ما حييت.

ثـم ظهرت في فـراغ الغرفة تلـك البوابة الزمنيـة المألوفة لـ(شهاب) والتي عبَّر من خلالها نحو مستحيل آخر مطلوب تحقيقه.

تم بحمد الله